الأخطل الصغير

شاعر الألم والمجد والعشق

موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث

الأخطل الصغير

بشارة عبد الله الخوري

شاعر الألم والمجد والعشق

إعداد ودراسة: هاني الخيِّر

أعلام الشعر العربي /الأخطل الصغير/

شاعر الألم والمجد والعشق

إعداد ودراسة: هاني الخيّر

سنة الطباعة: ٢٠١٠.

عدد النسخ:١٠٠٠ نسخة.

الترقيم الدولي: 0 - 94 – 410 – 9933 - 987

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٩٦٣

تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

أنا في شمال الحبّ قلبٌ خافقٌ
وعلى يمين الحقّ طيرٌ شادِ

غنّيتُ للشرق الجريح وفي يدي
ما في سماءِ الشرق من أمجادِ

بشارة الخوري
الأخطل الصغير

بيروت ١٩٦١

إضاءة

الأخطل الصغير..... شاعر الألم والمجد والعشق

في أواخر القرن التاسع عشر كان لبنان خاضعاً للدولة العثمانية وهو خضوع انعكس على جميع مجالات الحياة العامة ونتج عنه الركود الشامل الذي انطوى على غليان جماهيري ناتج من التصادم بين الإرادة الذاتية وبين استبداد الهيمنة الأجنبية .

وقد أخفقت سلطة الأتراك في فرض سيطرتها من خلال مقولات تاريخية مثل الخلافة الإسلامية و اعتبار الحاكم العثماني من سلالة الخلفاء الذين لهم الولاية المطلقة على أمور الدين و الدنيا .

ونشأت هنا بواكير يقظة قومية عند العرب، وقد سبق المسيحيون العرب المسلمين منهم إلى التحسس بالشعور القومي ففي بداية القرن التاسع عشر دخل المذهب البروتستانتي إلى البلاد العربية وترجم الإنجيل إلى اللغة العربية وبدأ استقلال الكنائس العربية عن روما، وتم تشكيل جمعيات سرية تندد بالحكم التركي والمطالبة بالاستقلال.

ومن المفارقات هنا أن ينطلق هذا التمرد على الهيمنة العثمانية من منطقة مجاورة شملت سوريا ولبنان في ظل مناداة بوحدة إسلامية مسيحية لمقاومة الاستبداد العثماني وهذا ما حدث وما جعل الشعر من أهم المحفزات لخوض صراع الاستقلال وهو نفسه ما جعل الأرض العربية موعودة دائماً بولادة شعر جديد يتنفس في هواء متجدد وولادة المشاعر المنتظر .

❖ **ميلاد الشاعر :**

بشارة الخوري بن عبد الله الخوري ميخائيل :

مكان الولادة بيروت أما زمان الولادة فهو موضع خلاف بين ١٨٨٠- ١٨٨٥- ١٨٩٠وكان بشارة نفسه يرجح أن يكون الاحتمال الأخير ربما ليبدو شاباً ، لكن أغلب المصادر ترجح أن يكون المولد عام ١٨٨٥ربما بالمقارنة مع تاريخ آخر للخلاف فيه وهو أن بشارة أنشأ صحيفة "البيرق " عام ١٩٠٨ومن المستبعد أن يتمكن شاب دون العشرين من تكوين صحيفة ذات أهداف يمكن أن تطارده من أجلها السلطة العثمانية . ولا غرابة من الخلاف في تاريخ الميلاد لأن المواليد لم تحدد بدقة آنذاك.

❖ **النشأة الثقافية:**

كان عبد الله الخوري والد بشارة طبيب أعشاب متجول مما جعله صاحب علاقات واسعة استفاد منها في إبعاد أولاده عن الخدمة العسكرية بتسجيلهم في دفاتر قرية صربا من كسروان من جبل لبنان التي كانت متصرفية أو محافظة تتمتع باستقلال ذاتي لا يفرض عليها الخدمة العسكرية.

وكان المختار في قرية صربا يوعز للأب بالانتقال إلى القرية كلما طافت لجنة تعداد النفوس بيوت بيروت.

وهكذا نشأ بشارة بين متنوعات المدينة وصفاء القرية مما هيأ للفتى رؤية ذات ألوان متغايرة وعواطف غير ساكنة.

يقول بشارة عن ذكريات طفولته:

"كانت الفتيات تفضّلني على كل أولاد الحي وكثيراً ما كنت اقطف الفواكه من حديقة منزلنا في غفلة من أهلي لواحدة استأثرت باهتمامي وكان من جراء ذلك أني وقعت مرة عن أحدى الشجرات إلى الأرض."

ونتيجة للأجواء المحتقنة كانت دراسة بشارة متقلبة بين المعاهد فقد اتجه إلى الكتاتيب ليتعلم القراءة والكتابة.

وفي سنة ١٩٠٢ انتقل إلى مدرسة الروم الأرثوذكس فكان التلميذ الماروني الوحيد فيها ومن ذكرياته وقتها كما يقول:

"كنت في الصف كثير الحركة والعفرتة وكثيراً ما كنت التقط ذبابة واربطها بخيط في قدمها ثم اتركها تطير فتقع أحياناً كثيرة على أنف المعلم أو وجهه وكثيراً ما كنت أتلقى قصاصات عنيفة من جراء ذلك."

- سنة ١٩٠٤ تحول إلى مدرسة الحكمة المارونية وكان الخوارنة معلميه .

- سنة ١٩٠٦ انتقل إلى مدرسة الإخوة المسيحية لإتقان اللغة الفرنسية وزامل جبران خليل جبران ووديع عقل الذي استفاد منه بشارة وكان يعرض عليه بداياته الشعرية.

هذه الدراسة المتقطعة لم يفد منها الأخطل إلا المبادئ المعرفية وإلا فإن أكبر مصادره الثقافية كانت من خلال الجلسات العفوية المنسجمة مع مزاجيته والمناخ العائلي فقد كان بشارة يحضر مجلس والده الطبيب الشعبي الذي تجتذب سهراته هواة الشعر. وكذلك كان يستفيد من المجلات التي يشتريها أخوه الأكبر فازداد بذلك تعلقاً بالأدب واعتبره المدرسة الحقيقية.

وتطور الأمر فانتظم الفتى بشارة ضمن حلقة الشيخ اسكندر العازار وبدأ ينظم الشعر باهتمام رغم ميوله الصحافية وكان" إذا قيل للشيخ اسكندر: إن بشارة يقرض الشعر أجاب: بشارة صحفي فاتركوا بشارة للصحافة يبرز بها."

وقد وصف أمين الريحاني في كتابه "قلب لبنان " هذه الحلقة :

"في مقهى من مقاهي بيروت البحرية صغير وادع مبني بالخشب مسقوف بالحصائر تلعب بين ركائزه الأمواج إلى جانب المَرْبع الفخم القائم هناك الحافل في هذه الأيام ببنات الفنون القليلة هناك في تلك الزاوية المنخفضة من محلة الزيتونة كنا نجلس ساعة الغروب وسيد سادات الحرية الفكرية في تلك الأيام الشيخ اسكندر العازار ومن أولئك السادات سادات الأدب في العقد الأول الحميد من هذا القرن (القرن العشرين) الذين كانوا يسارعون ساعة

الغروب إلى قهوة البحر ولا يتسابقون في دفع الحساب ! جماعة مرحة صالحة أعد منها بشارة الخوري".

❖ الصحافي:

في مطلع القرن العشرين ازدهرت الصحافة وأخذت لقب صاحبة الجلالة باستحقاق حتى انه يمكن تسمية ذلك العصر بأنه عصر الصحافة العربية وللمفارقة فإن هذا الازدهار كان أشد ازدهاراً في البلاد الأجنبية حيث المهاجر المبكرة ومن جملة الإحصاءات المذكورة:

- في أمريكا:- ٧٩ تسع وسبعون صحيفة عربية.
- في البرازيل: - ٩٥ خمس وتسعون صحيفة عربية.
- في الأرجنتين:- ٥٨ ثمان وخمسون صحيفة عربية.

انطلاقاً من تلك المنتديات الأدبية التي يحضرها بشارة الخوري في سنة ١٩٠٨ أصدر العدد الأول من صحيفة البرق وكانت أدبية سياسية أسبوعية.

- وفي سنة ١٩١٩ صارت صحيفة يومية.
- و في سنة ١٩٣٠ تحولت ثانية إلى أسبوعية.

ولقيت معاناة شديدة في العهد العثماني من مصادرة وإغلاق ففي سنة ١٩١٢ تم إغلاقها بتهمة وقوف صاحبها إلى جانب الثوار العرب.

- وفي سنة ١٩١٤ تعطلت بسبب الحرب العالمية الأولى.

- وفي سنة ١٩٣٣ تم إيقافها من قبل الفرنسيين بسبب إلقاء بشارة قصيدة ببغداد رثى خلالها فيصل الأول ومع كل هذه العوائق القاسية فقد آلى بشارة على نفسه إلا أن تستمر صحيفة البرق في الصدور وتثبت وجودها وتطورها حتى أصبح لها مكتب يؤمه الأدباء والمثقفون ولعل أظرف وصف لمكتب البرق ما ذكره الشيخ أمين تقي الدين:

"ما رأيت كإدارة البرق فيما رأيت إلى اليوم من إدارات الجرائد فلا هي إدارة جريدة ولاهي نادٍ أدبي ولاهي قهوة للمنادمة ولاهي خان للمسافرين أتيتها

عند الظهر فإذا بمائدتها الكبرى المغطاة أبداً بالجرائد و المجلات لتفكهة الزائرين وتسليتهم قد تحولت إلى مائدة للأكل أو صارت المجلات صحافاً للحم و الجرائد مناشف للصحون وزرتها في العصر فإذا بإخوان الأدب قد التفوا فيها كأنهم على موعد وكأنما هي مزار يُتبرك به فهناك الأديب التاجر والأديب العامل والأديب المحامي و حملة الأقلام من كل صنف وطراز."

كان مكتب البرق بمثابة الجامعة بالنسبة لبشارة فإن المدارس التي تخرج منها لم تكن تمنح شهادة رسمية فقد تابع المطالعة بنفسه للتراث العربي ثم المثاقفة الأجنبية خصوصاً الأدب الفرنسي.وأخذ يتواصل بالمثقفة مع شبلي الملاط ـ والزهاوي ـ والرصافي ـ ومحمد كرد علي الدمشقي وهذا الأخير قد لفت انتباهه إلى أن الأتراك يريدون به الشر ومن الخير له أن يتوارى فلجأ متنكراً إلى قرية "ريفون" هناك تأثر بالطبيعة وعكف على دراسة كتاب الأغاني أيام اختفائه .

يقول نسيب نمر:

"سجن بشارة الخوري نفسه لكنه لم يكن كسواه من السجناء بل اندمج في صدور الكتب ومعاجم اللغة لا سيما كتاب الأغاني الذي بقي رفيقاً له طوال سنوات الحرب العالمية الأولى وتأثر به."

وقال أديب مرّوة:

"إن كتاب الأغاني كان زاد الشاعر الأول أكثر مطالعاته كما روى بنفسه واستوحى أخبار هذا الكتاب ونظم عروة وعفراء وعمر ونعم وحلم عربي وأخذ هذا منه أسماء غزله مثل هند ومي وسلمى وأتخذ اسم الأخطل لقباً له."

نتيجة تلك المعاناة اختار بشارة أن ينأى بنفسه عن مخاطر الأحداث فلا يباشر أي عمل يعرضه إلى المصادمة ويصفه نسيب نمر بالقول:

"كان في مواقفه كالفستق المقشر ناعماً ليناً....من الرجال الذين كانوا يخافون المستعمر يوم كان في البلاد راتعاً وعليها حاكماً فيمالئونه ويدارونه ولا يجرحون كبرياءه إما خوفاً ورهبة وإما طمعاً وضعفاً...حتى إذا ولى بخيله ورجاله ونفوذه وظلمه أظهروا بطولتهم وأفصحوا مقالتهم فإذا

هم أقوياء بإيمانهم أعزاء بعقيدتهم والله شاهد على إيمانهم وليس غريباً أن يكون بشارة مرآة تنعكس عليها صورهم وأخلاقهم وتفاعل نفوسهم فهو لم ينزل لدرس غيرهم ولم تكن بينه وبين الأمة المناضلة صلة توصل ما انقطع وتظهر ما خفي فقضى حياته إما عند أبي عفيف أو في البوشرية أو متنقلاً وراء حاجاته الخاصة."

لكن من يطالع سيرة الأخطل الصغير يجد في كلام نسيب نمر شيئاً من القسوة والتطرف وكأن على الشاعر أن ينتحر ليثبت براءته خصوصاً وأن هناك ما يشير إلى انخراطه في الجمعية الماسونية بتشجيع من أخيه الأكبر يوسف الخوري للتخلص من ملاحقات المتصرف العثماني فانتسب إلى محفل صنّين لكنه سرعان ما انفصل عنه بعد ما شعر بتواطؤ الماسونين مع المتصرف العثماني.

وأثناء لجوئه في "ريفون" أول مراحل تشرده من وجه الظلم العثماني اضطره العوز للعمل في وظيفة بشركة القمح بمرتب ضئيل وقد اضطر لبيع مطبعة البرق ليدفع هول المجاعة عن أهله حتى انجلت الحرب وعاد لإصدار البرق سنة ١٩١٨.

في سنة ١٩٢٢ مع انفراج الأحوال تزوج بشارة فرزق بثلاثة أولاد وبنت تعلق بها وخصها بقصيدة " وداد."

في سنة ١٩٢٥ تم انتخابه نقيباً للصحافة اللبنانية وبقي كذلك حتى سنة ١٩٢٨ وقد استدرجته الطموح إلى ترشيح نفسه في الانتخابات النيابية عن منطقة المتن فخاض المعركة مستقلاً لكنه باء بالإخفاق الذريع ولم ينل إلا بضعة وعشرين صوتاً ونال سنة ١٩٣٢ عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق.

❖ ملاكمات أدبية:

وفي سنة ١٩٣٥ تم انتخابه رئيساً لمجلس بلدية برج حمود فوضع نفسه موضع النقد والسجال فكان ذلك على حساب شاعريته ودخل في مرحلة الحَرَد من القصيدة والهروب من بيت الشعر، كانت تمر السنة و السنتان لا ينتج فيها قصيدة أو يرسل نغماً فقد انصهر مع العصر وأصبح يصمت سنتين وثلاثاً بالرغم من جسامة

الحوادث التي مرت على الوطن وكأني بحالته تشبه حالة حافظ إبراهيم في دار الكتب المصرية.

فنسي بشارة رسالته وصمت صمت أهل الكهف بعدما عُيّن مستشاراً في وزارة المعارف فانزوى عند أبي عفيف أو في مكتب ابنه عبد الله يقرأ الصحف ويتبع اللفافة بأختها ناقماً حتى على لفائفه.

وعاب عليه آخرون غلوه في تقدير نفسه كما في شعره ولعل ذلك ردة فعل تحدى النقاد وهجوم الشعراء عليه واتهامه بسرقة الشعر الفرنسي فهو يصف خصومه بالهجاء:

- درة صاغها الذي ترك.....الحساد تجري ولا تطيق لحاقا.

- كلما أطبق الغبار عليهم....حشر جوا تحته وماتوا اختناقا.

وكان يواجه النقد القاسي بما هو أقسى، فقد كتب مقالة بعنوان " صليب المقابر أو الحسود العاثر أو فلان"

وأعلن عن مقالته في جريدته البرق وأنها ستظهر بعد أسبوع ولما سئل عن سبب التأجيل أجاب:

"إذا نشرت كلمتي في هذا العدد فسيقرؤه من وجه إليه ويغمى عليه مرة واحدة وأما بانتظاره إلى الأسبوع القبل فيرميه مغشياً عليه كل يوم ألف مرة مدة سبعة أيام "

وهذه المقاومة العنيفة جعلت خصوم الأمس يخضعون للثناء عليه بعدما فرض نفسه فهذا سعيد عقل يقول عنه:

"عندما في صدفة سعيدة خطت أنامله لأول مرة بيتاً من قصيدة كانت السماء قد نوت خيراً بالجمال وبأزاهر البال في الهيمنة تلك تقرر أن يكون في لبنان أمير كلمة "

وهكذا تحولت المرحلة من ملاكمات أدبية إلى تكريمات ودعوات بعد اشتهار اسم الشاعر في بغداد لتكريم فيصل الأول.

وفي القاهرة لمهرجان شوقي وفي حلب لتكريم المتنبي وكذا دمشق وشارك سنة ١٩٥٤في حفل ذكرى جلوس الملك سعود بالسعودية.

❖ **من الإمارة إلى الإهمال:**

وكان التكريم الأهم في صيف ١٩٦١ حيث بويع بإمارة الشعر في احتفال أقيم على قاعة بيروت برعاية اللواء الرئيس فؤاد شهاب وتحدث فيه رئيس الوزراء صائب سلام والشعراء و الأدباء بينهم خصمه القديم طويل العمر سعيد عقل وعمر أبو ريشة والجواهري....

وأنشدت فيروز من شعره وتقرر أثناء المهرجان أطلاق اسمه على أحد شوارع بيروت ووضع تمثاله في باحة قصر اليونسكو، وإصدار طوابع بريدية تذكارية تحمل صورته.

وألقى في نهاية الحفل قصيدة مطلعها حزين:

اليوم أصبحت لا شمسي ولاقمري

منذا يغني على عود بلا وتر

ما للقوافي إذا جاذبتها نفرت

رعت شبابي وخانتني على كبري

وكأن بشارة المتشائم هنا يتنبأ بأن هذا الحفل بداية النهاية ومفتاح بوابة الدخول إلى مرض طويل هو نفق الموت.

فيتحدث الشاعر عن سبب مرضه:

"بعد حفلة التكريم الأخيرة (إمارة الشعر) أقام لي أحد الأصدقاء حفلة في الهواء الطلق وكان الوقت ليلاً والطقس رطباً ولما كنت نسيت طربوشي في البيت طلبت منه أن يعطيني طربوشاً فأعتذر عن ذلك كما اضطرني أن امكث عدة ساعات والندى يتساقط على رأسي وهذا كان سبب إصابتي

بنشفان الفم فأقعدني في البيت ولم تنجح عقاقير الأطباء بإعادته إلى حالته الطبيعية وها أنذا منذ خمس سنوات في المنزل لا أبرحه أبداً."

كان هذا الحديث للشاعر لمجلة الحوادث سنة ١٩٦٦ خلال عزلته التي يقول عنها أحد أصدقاءه:

"هاهو بعد العمر المديد الموفق والسنين الطويلة التي قضاها والخصبة بالإنتاج وخدمة المصلحة العامة لم يبق لديه سوى البيت الذي يسكن به باع جميع ما يملك ولم يسأل أحد من مقدري أدبه وشعره وعار في فضله عن حالته المادية ولم تتعهده أي جهة من الجهات بما يكفل له الراحة والرفاه في سنيه الأخيرة وليست هذه الحالة غريبة على الأديب عندنا."

ويزوره أحد الكتّاب فيصفه بهذه الملامح:

"هو كالطيف في الحلم لا تكاد تتلمس معالمه ورسومه قليل الظل خلا ما نفى عنه الرداء المحبر يمر في شخصه الضئيل مرور الغمامة أفزعت ماءها فخف جسمها فأسرعت في جريها فإذا أنت أمام قامة كعود القناة بدت كعوبها بها قامة لا تحتمل حجاباً لعظمها غير أهابها وترى فيها توتراً وانحناءً كقوس انبض لرامي عنها فانطلقت نبالها ويهوي إليك برأس رش الثلج شعره الكثيف بوابل من ذراته فكساه بالبياض فتخال أنك في حضرة شيخ أخنت عليه الأيام والسنون فلم تبق ولم تذر ولكن خفة حركته وهي من خصائص غرانق الفتيان تطرد عنك هذا الخيال بل يطرده بريق عينه من وراء النظارات يحمل شهوة الشباب ونشاطه وتهبط معه آيات النبوغ والعبقرية."

ولا يرسمه أحد بأبلغ من خصمه الأقدم إلياس أبو شبكة في كتابه الرسوم:

"وجه عصبي يتقاسمه الحنان والحب وقد يكونان تراث إحساسه وثورته وعينان وقادتان أقوت حدقاتهما إلا من البريق فكأنها لكثرة ما أراق من ماء شبابه في عهد الحب والشباب تولدت فيهما إيماضة من الكهرباء... أما هيكله وقد جربه الدهر قي زمان رضائه وبؤسه فقد رق كثيراً حتى لتخاله بيتاً من قصيدة (المسلول) وحتى إذا عثرت به الأبصار من بعيد وقفت عليه وقد اختلط عليها شكله فلم يفسح لها إن تجزم في أمره أيكون جسداً من لحم ودم أم وتداً متمايلاً من الأوتاد التي يلبسها الناطور بعض الأقمشة ويركزها في وسط الكرمة فتتطير بها الثعالب وتفر مذعورة كما أنه كان غريب الأطوار

في حياته الأدبية يضيق بالنقد ويثور بسرعة ثم لا يلبث أن يهدأ بسرعة وقد كان هني المعشر بشوشاً يمتاز بمزاج حلو ونكتة حاضرة وبديهة قادرة هذا فضلاً عن كونه شاعراً ونديماً."

هكذا بقى الأخطل الصغير آخر شيخوخته في بيته متنقلاً بين الكرسي والسرير وكان يتسلى بحبة من علبة الشوكولاته يضعها في فمه ويتركها تذوب متمتعاً بطعمها اللذيذ ويأنس بزيارة أحفاده وكأنه يجرب دفء قوله:

مــــن كــــان مــــن دنيـــــاه يـــنفض راحــــة

فأنــــا علــــى دنيــــاي أقــــبض راحــــي

لكن الدنيا هي التي نفضت راحها منه فانقضى أجله في ظهيرة صيف ٣١ تموز عام ١٩٦٨ وقد ناهز الثمانين حولاً.

❖ لماذا الأخطل الصغير ؟

هذا الاسم الأدبي طغى على الاسم الحقيقي حتى إذا قيل بشارة الخوري اختلط مع رئيس لبناني يحمل ذات الاسم وقد يأنف الشعراء مع اشتهارهم من التشبه باسم شاعر قديم فلا يرضى أن يحمل اسماً من قبيل البحتري الصغير أو المتنبي الصغير وإنما يصر كل شاعر على انه لم يتأثر بأحد بل له بصمته الخاصة لكن الأخطل الصغير وإن أصبح كبيراً بقي يعتز بهذا الاسم ويمتاز به فما هو منشأ هذا اللقب الذائع هل هو لسبب أدبي أم أمني أم ديني ؟

لقد وجد بشارة الخوري إن بينه وبين الشاعر الأموي (الأخطل) وشائج صلة وقربى وحين سئل عن هذا اللقب المقتبس أجاب :

"كانت الحرب العالمية الأولى ثم كان عهد جمال باشا(السفاح) في سوريا ولبنان وهو عهد النفي والمشنقة بل عهد الإرهاب بجميع أسبابه وأنواعه وانطوت الأعوام الشهور على حالات شتى من البؤس ومفاجآت مفعمة بالمخاوف حتى كان تموز من عام ١٩١٦.

وكانت الحاجة ماسة إلى إثارة الخواطر في البلاد تعجيلاً ليوم الخلاص وهو أمنية البلاد العربية ولم يكن ليجرؤ واحدنا ولو في الحلم أن يرسل كلمة في سبيل النهضة ولو همساً فكيف به إذا هو شاء أن يرسل في ذلك السبيل قصيدة يترجع صداها.

وكان يعجبني من الأخطل خفة روحه وإبداعه في اصطياد المعاني يقودها ذليلة إلى فصيح معانيه وفوق ذلك فقد كان الشاعر المسيحي الذي تنفتح له أبواب الخلفاء يملأها لذة وطرباً وادلالاً بل يملأها ذلك الشرف الذي لا يبلى و المجد الذي لا يفنى.... فرأيت وأنا أدعو للدولة العربية وموقف منهما موقف الأخطل من دولة بني مروان أن أدل على حقيقة الشاعر المتنكر فلم أر كالأخطل الصغير أوقع به ما كانت تقطره القريحة من الشعر لم يبق لي منه إلا كبقية الوشم ظاهر اليد".

لكن الكاتب عادل الغضبان لا يتوقف عند السببين الأمني والديني بل يضيف:

"لا بد أن يكون بينهما ((الأخطلين)) تجاوب روحي حمل شاعر القرن العشرين على أن يختار اسم الأخطل وإننا لنلمس ذلك التجاوب في شعرهما الذي يصور لنا تجاوب نفسيهما فكلاهما شاعر الهوى والجمال."

وحتى مع استقرار بشارة الخوري لم يحاول التخلص من الاسم المستعار مما يؤكد ميله إليه لوجود متشابهات عقيدية وفنية وسلوكية إضافة إلى السبب الأمني أيام الاضطهاد العثماني.

❖ جسد اللغة وروح المعنى في شعر الأخطل الصغير

"إن كنت لا تذكر فاسأل فمك"

الآن حيث لم يعد الشعر صاحب الجلالة وجامع الجماهير ـ حسبما يقال ـ كيف يمكن الترفع عن منطق التسويق واستعطاف القارئ لإعادة الاعتبار إلى الشعر، وكيف يمكن استدراج هذه البشرية المتذاكية إلى التورط في مغريات الكلام..ثم كيف لا يكون غلواً التأكيد على ضرورة الشعر للإنسانية وتحويل الأمر إلى ما يُشبه التداوي بالشعر مثلما يتم التداوي بالموسيقى؟؟؟

تساؤلات يمكن العثور على أجوبتها عند كل التفاتة هادئة ولعل من بين محاولات الإجابة هو التوقف للإصغاء إلى نقرات الأنفاس ولملامسة رذاذ الأعماق ولمشاهدة ألوان الخواطر بعيداً عن تجريدية النقد الأدبي الذي أصبح علماً بذاته بعدما كان إضاءة للنص فكان لا بد من استنطاق النص كشهود حاضر لا بضمير الغائب لا سيما ونحن حيال نصوص تموج بالحيوية وتلتهب بالإحساس ضمن تجربة ذات طابع خاص يمتاز بها شعر الأخطل الصغير بشارة الخوري (١٨٨٥ـ ١٩٦٨).

وهذه التجربة الفريدة تفترض تكوين مسار قراءة غير تعسفية في استخدام مناهج لا تنسجم مع مذاق الكلمة وتفترض التسامي على المطالعة القمعية والاضطهاد الحرفي.

لربما تناسب مناهج النقد الجديد تناول الأعمال الحداثية المشابهة في أسلوبها ومضامينها للآداب الأجنبية المترجمة، ولكن كيف تنسجم صرامة اتجاهات البنيوية والتفككية والسيميائية مع جمالية في غاية اللطافة والرقة مثل هذا القول للأخطل الصغير:

هكذا أهل الغزلْ كلما خافوا المللْ ـ أنعشوه بالقُبلْ

أين هو الموشح الأخطلي الشفيف عن مشرط النقد الجراحي المؤدي إلى إدماء الذائقة واستلاب الحميمية؟

❖ اتجاهات الشعر في عصر الأخطل الصغير

بين نهايات القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين كان الشعر ينسج آخر عصوره الذهبية من حيث الكيف والكم ومن حيث الإقبال الجماهيري والانتشار وهذه التراكمية أفصحت عن بروز اتجاهات متنوعة فنياً وهي اتجاهات عاصرها الأخطل الصغير وتماحك معها ويمكن التوقف بعجالة عند أهم هذه الاتجاهات وهي:

١- الاتجاه التقليدي

الامتـداد الطبيعـي الـشوقي وحـافظ ومطـران مـن أمثـال الزهـاوي والرصـافي والجـواهري (في العـراق) وبـدوي الجبـل وعمـر أبـو ريـشة (في سـوريا). وعلـى اخـتلاف ملامـح شـعر هـؤلاء وظهـور بـوادر التجديـد ومفاصـل التمـايز فـإن الطـابع العـام هـو استمرار الجزالـة ووقـار الإيقـاع ومهمـا تناولـت القـصيدة هنـا موضـوعاً معاصـراً فإنهـا تبقى ذات بنية وفية للأدب العباسي مهما التصقت بالحوادث والأفكار الواقعية سواء في مهادنة الواقع أو التصادم معه، وللإنـصاف فـإن هـذا الاتجـاه يمثـل الخـط الـرئيس للقصيدة العربية الذي هو محجة الأكثرية من الشعراء ومن القراء.

٢- اتجاه تجديد المضمون

طرقت القصيدة بعض الأغراض غير المألوفة أدبيا إلا عند القليل مـن القـدماء في تاريخ الأدب العربي وهي محاولة تعميق للرؤية الشعرية بشيء من القصدية والتوجيـه، ونتوقف في ذات الاتجاه عند تجربتين:

أ- تجربة جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ - ١٩٣٦)

على طريقة أبي العلاء المعري تراوحت قصيدة الزهاوي بين جمالية الفن وتأملات الفلسفة بما في ذلك الخوض في شؤون الإيمان والإلحاد ونقد الأوضاع الاجتماعية.

وهي طريقة لم يبتكرها الزهاوي وإنما هي تطوير غير متكامل للزوميات أبي العلاء المعري. بل قد لا نتجنى على هذه التجربة حين القول أنها تقليد للطريقـة المعّريـة إلى درجة التناص في موارد مـن أهمها قـصيدة الزهـاوي الملحمية ((ثـورة في الجحيم)) المحاكية لأسلوب رسالة الغفران للمعري رغم اختلاف الشعر عن النثر.

ب - تجربة معروف الرصافي (١٨٧٥ - ١٩٤٥)

تظهر الأغراض الشعرية في ديوان الرصافي مغايرة للاتجاه التقليدي لكنه خروج من التقليدي إلى ما هو أسوأ.

فالرصـافي يوظـف القـصيدة كوسـيلة للتوجيـه والنـصائح والـدعوة الوعظيـة إلى العلم والإصلاح الديني بأسلوب لا يختلف عن المحاضرات والخطب والمقالـة اللهم إلا من حيث الوزن الخليلي فهنا لا نجد المحافظة على الشاعرية كما عند شوقي الذي

تناول بعض هذه الشؤون كما لا نجد الرؤية العميقة الموجودة عند الزهاوي وليس وصف المخترعات ووسائل الاتصال إلا وصفاً ظاهرياً يظهر الإعجاب.

٣- الاتجاه الرومانسي

وقد أسهم هذا الاتجاه في الارتفاع بالشعر عن المباشرة إلى عوالم مثالية مزدانة بالحب والنقاء الروحي والحساسية كما هو الحال لدى (أبي القاسم الشابي) و (إبراهيم ناجي) و (علي محمود طه) وقد تأثر هؤلاء بالمترجمات والأسلوب الجبراني، لكن هذا الاتجاه اعتمد العاطفة بعيداً عن التعمق الوحي والتنوع الفني ولنتوقف عند أحد رموز هذا الاتجاه وهو (علي محمود طه) الذي لقي من النقاد شيئاً من القسوة فهذا شوقي ضيف يقول عن هذا الشاعر المهندس أنه:

> **" يستخدم ألفاظاً معينة قلما يعدوها والغريب فيها أنها تعاد وتكرر حتى ليظن الإنسان أن الشاعر يحفظ مجموعة من الألفاظ لا يزال كلما حاول نظم قصيدة يضم بعضها إلى بعض يملأ بها قوالبه وكأنها أكواب وقوارير تملأ بشراب معيّن"**

وإضافة إلى ما قال شوقي ضيف فإن إمعان النظر في قصائد هذا الاتجاه ينفي وجود فكرة بعيدة المدى وإنما هي عواطف بسيطة مهما تفننت في التأوه والمعاناة والصبابة.

٤- اتجاه الاغتراب

مثلما كان الأدب الأندلسي خروجاً على نمطية الشعر العربي القديم فإن الأدب المهجري تأكيد للحكمة القائلة " التاريخ يعيد نفسه"

فقد اتجه الأدب المهجري لتوسعة الأفق والنظر إلى الأشياء من بعيد لتكوين فلسفة وجدانية لا تديرها تفاصيل اليوميات والمناسبات ودون العكوف بين زخارف القصيدة العباسية ومحاريب القصيدة الأموية وعدم الاقتصار على بساطة الاتجاه الرومانسي وإنما لا بد من تكوين فكرة تتقمص الجمالية الشاعرية فتأتي ممتعة نافعة وتمثلت المدرسة المهجرية في مهجرين:

أ- المهجر الشمالي (أمريكا)

من رواد هذا المهجر (حبران خليل جبران) ونسيب عريضة وإيليا أبو ماضي وقد أحدث هذا المهجر ثورة أدبية لا سيما في عناصر القصيدة في اللغة والموقف من الحياة و الأغراض مما أسهم في تحولات القصيدة في العالم العربي

ب. المهجر الجنوبي (البرازيل)

من أعلام هذا المهجر (القروي وشفيق معلوف وفوزي معلوف)، وقد بدأت الحركة الأدبية في هذا المهجر متأخرة عن حركة المهجر الشمالي وهي أقرب ما تكون إلى الاتجاه الرومانسي وبهذا فهي أقل تأثيراً من المهجر الشمالي في الشعر العربي.

بين هذه الاتجاهات برزت شاعرية الأخطل الصغير وسط عدد كبير من الشعراء ووسط تكتلات أدبية أمثال (الرابطة القلمية ومدرسة الديوان ومدرسة أبولو.....) كان من الصعب على الشاعر أن يثبت وجوده خارج هذه الشللية وأن تكون له بصمته الخاصة، فهل تمكن بشارة الخوري من النجاح دون الذوبان في رموز كثيرة للآداب العربية والأجنبية وقلما يسلم من مؤثرات قديمة أو حديثة لم تغب المرجعية التراثية عن ثقافة بشارة الخوري فقد خص كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني بعناية فائقة أكسبته بعض أسلوب الغنائية فهو يتحدث لجريدة البرق عن ذكرياته أثناء الحرب العالمية الأولى وكيف قضاها قائلاً:

" طويت الأغاني وكان رفيق ليلي ونهاري وانصرفت عن قلمي وقرطاسي ". ويحدثنا نسيب نمر عن استئناسة بالتراث وهو سجين داره " سجن بشارة نفسه في قرية ريفون إبان الحرب العالمية الأولى لكنه لم يكن كسواه من السجناء بل اندمج في صدور الكتب ومعاجم اللغة لا سيما كتاب الأغاني الذي بقي رفيقاً له طوال سنوات الحرب فاطّلع على سائر ضروب الشعر الغنائي فرقّ إحساسه وطابت نفسه وسلس قياده ورقّت ألفاظه " وحين سئل بشارة عن الشعراء العرب الذين يفضلهم على سواهم فقال: "عمر ابن أبي ربيعة وبهاء الدين زهير وأصحاب الموشحات الأندلسية."

ونلاحظ في جواب الشاعر واختيار هذا النوع من الشعر التأكيد على ميله للتنويع والرقة والغزل والسهولة.

❖ هل سرق الأخطل الصغير من أدب الآخر؟

بينما رأى البعض في بشارة الخوري " إنه صاحب مدرسة في الشعر اللبناني وأنه مهّد لإلياس أبي شبكة طريق المدرسة الرومانسية اللبنانية "، فقد اعتبره صلاح لبكي من "المخضرمين الذين غلب على شعرهم التأثر بنظريات الغرب. " وهذا التقييم النقدي لا يتجاوز حدود الاجتهادات المألوفة لو لا أن الأمر بلغ من التطرف إلى حد اتهام الأخطل الصغير بسرقة الشعر الفرنسي وشُنت عليه حملة قادتها (عصبة العشرة) سنة ١٩٣٠وهي عصبة ضمت أدباء شباب بينهم إلياس أبو شبكة وخليل تقي الدين وميشال أبو شهلا وكانت تهدف حسب أدبياتها إلى يقظة أدبية رأت في الأدب المعاصر طابع الجمود واستنساخ القيم وانتحاله بما يشوه محاسن القديم ويدعو للإعراض عنه إلى الآداب الأخرى ومن الطبيعي أن تفرز هذه الرؤية النقدية بعض الخصومات خصوصاً مع التصدي لتقييم الشعراء بما فيهم الأخطل الصغير فقد وصفته (عصبة العشرة) بحفار القبور إشارة إلى قصائده المترجمة ودأب المهاجمون على رد بعض روائعه إلى أصولها في الأدب الفرنسي ويبدو أن تأثر الشاعر بالشعر الفرنسي جاء على نحويين :

الأول : الترجمة الحرفية مثل قصيدة " إلى امرأة " المأخوذة من لويس بويه وقصيدة " العيون " المأخوذة عن سوللين بروديوم.

الثاني: الاقتباس بتصرف مثل قصيدة " ماذا أقول له " التي عربها عن موريس ماترلنك، وقصيدة "أنا لو كنت سليمى " وقصيدة "قلب خافق "ومآس الحرب المستفادة من أدب الفريد موسيه.

والذي زاد أوار الهجمة عدم إشارة الأخطل الصغير في ديوانه إلى مثل هذه الاقتباسات .

وللتخفيف من تهمة السرقة يؤكد أديب مروّة أن الشاعر مارس الترجمة بداية شعره إلى حين "ما أن سلس له قياد الشعر حتى اقلع عن الترجمة وانصرف إلى الإنتاج

الشخصي الصرف يفرغ فيه حشاشة قلبه ونفثات أفكاره ويعبر عن انطباعاته الخاصة وحدها "

وفي اتجاه معاكس تماماً هناك رأي مختلف يقول نسيب نمر:

"نجد أن شعره اكتسب مع الزمن رصانة ونضجاً واختبارات أخرى فعلمته المرارة ضرباً جديداً من ألوان الحياة كما لقّنه الألم والمرض قصيدة ((المسلول)) التي جاءت صورة ناطقة لروحه وضعفه وهزاله فلم يكن لأي نص أجنبي تأثير في روحها لأنها بزغت من روحه و أن الفكرة الأجنبية والتعابير الفرنسية والصور التي اقتبسها من شعر الفرنجة أخضعها بشارة إلى مقياس نفسه وصقلها وأخرجها بأسلوب شعري عربي لا غبار عليه"...

ولعل الاحتمال الأخر هو الأقرب إلى الحقيقة فمن غير الممكن نفي أثر النص الأجنبي في شعر الأخطل الصغير وكذلك من التعسف تأكيد تهمة السرقة من الآداب الأجنبية فهذه التهمة لا تخلو من عداء ومشاحنات كانت سائدة بين التيارات الشعرية قد تصل إلى مواجهات وحروب كلامية تتجاوز المعقول.

ومن اللافت أن (سعيد عقل) كان في عداد المهاجمين للأخطل الصغير فقد وقف في "وست هول " الجامعة الأمريكية بعد أن ألقى بشارة الخوري قصيدة "عروة و عفراء " ليقول: " انه لا يقيم وزناً لشاعر يعيش على ساحل البحر الأبيض المتوسط تغسل أقدامه الأمواج ويكلله صنين بتيجانه. ثم يحمل نفسه إلى الصحراء لتوشي قصائده فردّ بشارة الخوري قائلاً بلهجة تشبه لهجة المتنبي:

ومعشر حاولوا هدمي ولو ذكروا

لكان أكثر ما يبنون من أدبي

تركتهم في جحيم من وساوسهم

ورحت اسحب أذيالي على السحب

بينما سعيد عقل نفسه يكتب مقدمة ديوان الأخطل الصغير عام ١٩٦١ بعنوان (أغنية الجراح والرماح) يشيد فيها بالشاعر مشير إلى البيتين بالقول:

"وهاجمني ببيتين له قديمين رحت أصفق لهما كما ولا أحد وفي بالي الخلي
أننا هو والبيتين وأنا أعداء حقاً ولكن أعداء من يجهلون "....

ويؤكد سعيد عقل أن المقدمة كانت بتكليف من بشارة وهي حافلة بالإشادة والإعجاب بشعر الأخطل الصغير .

إن المعارك الأدبية برغم تجاوزاتها للإنصاف وبرغم إفرازاتها اللا أخلاقية وبرغم امتزاج اختلاف الرأي بانهيار العلاقات إلا أن كل تلك المؤثرات السلبية لا تبدد الثروة الفكرية الناتجة من تلك المعارك تماماً كما هو الحال في المعارك المذهبية الأخرى، فربَّ ضارة نافعة فلولا تلكم المشاحنات لم نطالع هذا التراث الزاخر بالاجتهادات والنظريات ولهذا فإن المعارك التي خاضها الأخطل الصغير مع أنداده من الأدباء الفحول لم يعد يهمنا منها تلك المؤثرات السلبية التي ماتت بموت شخوصها وزالت بزوال ظروفها الآنية وإنما يهمنا غاية الأهمية ما تركت من آراء أصبحت وثيقة هامة في مسار هذا الشاعر وفي بنية تلك المدرسة وفي شواهد ذلك العصر.

❖ شاعرية الجسد

المذاهب الأخلاقية والصوفية ملأت مأثوراتها بتأكيد استحقار الجسد واستقذاره وبلغ الأمر إلى الملازمة بين تعذيب الجسد وصفاء الروح باعتبار هذا الجسد موضع الغريزة التي هي مبعث النقص والإثم والشر وعلى هذا الأساس فإن النظرة السائدة تستهجن القصيدة الجسمانية وتصفها بالإباحية والتسطيح وإن الشعر الحقيقي هو ما يتجاوز الجسد إلى لواعج القلب وتمجيد الروح.

وهذا ـ لعمرك ـ انحياز جمالية يزعم الترفع ولكنه تقشف لا يناسب ترفية الجمال وجسارة المغامرة الفنية، إن الجسد كما قيل قديما هو قبة الروح وهو خلقة الله التي عبر عنها في القرآن الكريم " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" لعل هذه الآية تتضمن الدعوة لإعادة النظر في الفكرة السائدة عن استهجان الجسد واعتبار الحديث عنه دعوة رخيصة إلى الفاحشة يتهافت هذا الإدعاء حيال حقيقة التكوين الرباني وميل الفطرة إلى الجمال واستنتاج عظمة الخالق من حسن الخلق.

ومما لا ريب فيه أن الجسد حين يكون موضوع قصيدة رائعة فإنه لا يسف ولا يفحش ولا يفسد ولذة الكلمة هي قوام النص الحقيقي وتبلغ القصيدة ذروتها حين يعانق الذوق جسد الشعر بإغراء فني أسمى من الإثارة البذيئة وإن مفردات الجسد وعوارضه هي مسميات متداولة من النفاق إظهار التبرؤ منها والتعوذ من حقائقها.

ونحن هنا بإزاء لوحات فنية ليست لمجرد التصوير وإنما لتعميق الرؤية واستنطاق الإنسانية بإبعاد الروح والجسد معا فإن صورة الجسد حين نطالعها في نص رفيع بمستوى شعر الأخطل الصغير ستواجهنا بألوان حرارية مترعة بنشوة الذوق وتثقيف القرائح ونكرر هنا على ضرورة الخروج من السائد المستخف بالنص الحائز على تناول موضوع الجسد مرتكزا على ثنائية حادة من الفصل بين عالم الروح وعالم الجسد، ولعل ذلك من مصدر مذاهب روحية كانت رائجة في الكونفوشيوسية الصينية والبوذية الهندية والزرادشتية الفارسية، ثم تسربت إلى الوعي العربي وكأنها من وحي الدين وهي انطباعات ما أنزل الله بها من سلطان.

ولما كان الأخطل الصغير مستوعبا للتراث القديم وقارئا للأدب الأجنبي فقد تناول قضية الجسد بوعي الفن لا بتلقائية المراهقة دون أن تبدو على قصائده افتعالات النحت وصنعة الوصف وإنما تأتي المفردة المتجسدة والصورة العضوية بسلاسة وانسياب خالية من التركيب والتقعير ويحفل القاموس الخوري بمفردات (العيون والشفاه والثغر والخد والردف والصدر والنهد......) وكذلك (الارتشاف والقبلة والأحضان)، وهي مفردات ذات دلائل بعيدة فيها الجسارة والتعفف معا .

وإذا كان نزار قباني قد اشتهر بأنه الأجرأ في تناول موضوع النهد ويبرز ذلك من خلال عنوان أحد أعماله المبكرة وهو (طفولة نهد) فإن الشاعر نزار لم يكن الأول الذي اقتحم هذا النتوء الخطير وإنما سبقه إلى ذلك الأخطل الصغير وإن لم يمارس تفاصيل هذه المفردة وإنما عبرت على قاموس القصيدة بحياء وخفر وتردد فانظر إلى هذا التورع عن الكلمة المثيرة:

وأزاح النسيم عن صدرها الثّوبَ　　　فلاحا.... ـ ولا تقل ـ....... نهداها

ومفعول الجملة المعترضة (لا تقل) هو ما زاد العبارة حساسية جمالية وأخرجها من المدلول العادي بإلفات النظر إلى جاذبية الكبت.

إن مفعول كلمة (لا تقل) مفعول قصيدة كاملة في بيت من الشعر فكم سيكون الشعر عاديا مبذولا لولا هذه الكلمة (لا تقل).

❖ **شهوة الكلام**

قد تريك كثافة مفردات الغزل والخمريات في الشعر الصوفي إلا أن القراءة السائدة تحمل هذه التعبيرات على المدلول المجازي والكناية عن معان روحانية مثل الذات الإلهية أو المعرفة فليست ليلى هي الأنثى وليست الخمرة هي المشروب المسكر ولعل هذا ما يجعل الذهنية الناقدة تميز بين الرمزية الصوفية وبين شعر الغزليين من القدماء سواء الشعر العذري أو الإباحي وفي قصائد الأخطل الصغير لا أثر لتلك الرمزية الصوفية الواردة في تراث ابن الفارض والحلاج وابن عربي ومن هنا نجد الأنثى هي الأنثى والجسد هو الجسد ومع ذلك لا يليق الإفراط في اعتبار هذه القصائد الأخطلية هي تعبير مباشر عن الغريزة والرغبات المكبوتة كما لا يمكن اعتبار الشعر وثيقة للتحليل النفسي بصورة تكشف عن تجربة شخصية دون مراعاة أن الشعر عملية فنية قد تأخذ من التجربة بعض الملامح ولكنها أيضاً تأخذ من التجربة الإنسانية عامة ومن الخيال ومن الأفكار. الشعر الفرد قد يغيب في العام الإنساني فهو لسان حال الإنسانية لا لسان حال فرديته وإن حالات الحرمان والوجود والعطش لا تعني ذلك الإحساس المباشر الساذج على طريقة التصوير الفوتوغرافي للشخص وإنما هي حالات يجد الشاعر في من حوله فيتقمصها ويشعر بالمعاناة حين يحملها.إن القارئ لقصائد بشارة الخوري تقابله شواهد كثيرة من تعابير الثغر والشفتين والتنهد واللهاث والرضاب وكل ما يتصل بالعطش والارتواء أو الجوع والشبع فكأنه هو الرضيع المسترخي على صدر الأمومة في طفولة دائمة تلتمس دفء الحنان:

ورحيـــــــــق الرضـــــــــاعة لا يريـــــــــد

الفطـــــــام مـــــــن ضـــــــرع الأمومـــــــة

كـــــبر الزمــــــان ولا تـــــزال كأمـــــسه

فعـــــساك تكـــــبر أو لعلـــــك تفطـــــم

ومع النمو يتحول شوق الرضاعة من حليب الأم إلى شيء مغاير هو التشوق إلى ارتشاف شراب يمتع المذاق عن طريق القبلات العسلية مع الابتعاد عن تحليلات فرويد:

أنـــــتَ ذوّبـــــت في محاجرهـــــا الـــــسحر

ورصّـــــــــعت بـــــــــاللآلئ فاهـــــــــا

أنـــــت عـــــسّلت ثغرهـــــا فقلـــــوب

النـــــاس نحـــــلٌ أكمامهـــــا شـــــفتاها

هذا الأغراء الفني يحجب الإباحية ويقصيها عن طريق الشاعرية ولبيان سلامة النية يحاول الشاعر التنحي عن الغريزة وهي محاولة لا تخلو من انحناء لعاصفة الاتهام:

خلـــق الله للـــهوى قبلـــة الـــروح

وراء الخـــــــــدود والأجيـــــــــاد

ومع هذا الإصرار من الشاعر على طبع غزلياته بالعذرية إلا أن بعض القراء النقاد يأبون إلا اقتحام النص عن طريق الرغبات المكبوتة يقول الناقد خريستو نجم:

" وأكبر الظن أن صورة الشفاه التي تتراكم في ديوان الأخطل مردها إلى صورة الفطام لأنها مصدر الرغبة المكبوتة في البحث عن الارتواء الشبقي بلون الدماء وحرارة الجمر، طالما يربط صاحبنا رشحان الشفاه بلهب الجراح وينتقل بتأملاته من عصير الثغر إلى حرارة النيران "

وبناء على قول فرويد :

"إن الحدث الراهن المهم يوقظ في الشاعر ذكرى حدث من الماضي ينتمي غالباً إلى الطفولة"

يؤكد خريستو نجم أن قصيد الشاعر في ابنته "وداد" وهي في العشرين من عمرها أنه " يرسمها بما ألفه من ألوان النساء الفاتنات وبما يشعر إزاءهن من رغبة واشتياق متأثراً بالمرحلة الفمية التي هيمنت على أشعاره حتى أنه شبّه ابنته بقصب السكر وما فيه من عقد رخصه وطرية وكذلك الأمر في حفيدته "ندى" التي جسدت أمامه بسمة الورد وقبلة الأرواح.

فالأخطل الصغير من شخصيات المرحلة الفمّية والتي توقف فيها قدر كبير من طاقة الليبيدو وقد قسم كارل أبراهام هذه المرحلة إلى اثنتين الأولى وفيها يجد الطفل لذته في الرضاعة والثانية وفيها يجد لذته في العض....."وأكبر الظن أن خريستو نجم استورد منهجاً علمياً من نظريات علم النفس وأراد أن يلوي عنق النص ويضغطه على مقاس ذلك المنهج الفرويدي وإلا فماذا تتوقع من شاعر رقيق أن يصف فتوة ابنته وطفولة حفيدته. نفسر وصف الشاعر لابنته بالجمال أو لحفيدته بالنعومة أنه رسم بما ألفه من الفاتنات أو الغانيات ؟ ماذا نقرأ وراء هذا المطلع في قصيدة "وداد" :

يا قطعة من كبدي   فداك يومي وغدي

وعن أية مرحلة فمية أو رغبة في قصيدته "ندى" :

ندى ندى همسة الطهر	**في شفاه الأقاحي**
أخت الفراشات يلعبن	**حاليات الجناح**
لم تبق للزهر والطير	**من شذا وصداح**
رضابها للحميا	**والخدُّ للتفاح**
كم من وشاح كساها	**الجمال كم من وشاح ؟**

هل يقبل الذوق السليم تفسير الرضاب بالشهوة الفمية والخد؟! وتفسير الوشاح بأن هذه اللفظة ذات دلالة نفسية تنم على المكبوت في مخيلة الشاعر حسبما يزعم خريستو نجم إن هذا التفسير التعسفي لا يختلف عن تفسير فرويد لإقبال الطفل على ثدي أمه بأنه دليل على ميول جنسية بل هو تقليد تام لمذهب التحليل النفسي.

بيد أننا لا يمكن أن نفهم هذا الغرام الفني للخطاب الأخطلي إلا على أساس تعبيره عن وجدان لا يخلو من تجربة حياتية لكنه يحلق في آفاق خيالية تكشف لنا عن واقع معاكس للتفسير المتقدم وهو أن الأخطل الصغير كان يرى الأنوثة المتخيلة أجمل من الأنوثة التي عايشها وأن تخيل المحاسن الجسدية أكثر جاذبية من الجسد العادي وبالطبع فأن الشاعر لم يكن صوفياً ولارمزياً ولا هو ممن يمجدون الروح ويستحقرون الجسد لأن الجسد عنوان الجمال والجاذبية. ولكن ليس ذلك الجسد البض الرخيص وإنما هو جمال حوريات القصائد التصويرية وبهذا يؤكد الشاعر على الذوق أن يسمو بالجسد بعيداً عن الابتذال والإسفاف هو جمال من هذا النوع:

سكير الروض سكرة صرعته	**عند مجرى العبير من نهديك**
قتل الورد نفسه حسداً منك	**وألقى دماه في وجنتيك**
والفراشات ملّت الزهر لمّا	**حدثتها الأنسام عن شفتيك**

الأخطل الصغير

شهادات أدبية .... وآراء ذوقية

يقول الناقد المصري أنور المعدّاوي:

" **الأخطل الصغير يبدو شاعر اللوحة وليس شاعر التجربة ..... إنه رسام لوحات مبدع، وصاحب لغة شعرية ممتازة. وهو في محيط التعبير بالألفاظ والصور، يتيح للنقد أن يعتبره واحداً من شعراء الجيل الماضي وأن يعتبره في الوقت نفسه واحداً من شعراء هذا الجيل. إن النقد – على ضوء السمات التعبيرية لشعره – يستطيع أن يلحقه بمدرسة الشعر التجديدي إلى جانب إيليا أبي ماضي، وعلي محمود طه. فكما نجد في شعره ملامح المدرسة الأولى ذلك الميل إلى التقريرية والخطابية والاحتفاء برنين اللفظ، نجد من ملامح المدرسة الثانية، تلك العناية بأن يحل التجسيم الإيحائي و الموسيقى الداخلية والصورة المركبة، محل التقرير والخطابة والتعبير المباشر**" .

ويقول الناقد إحسان عباس:

" **شعوره بالعروبة صريح لا مواربة فيه، فهو الأخطل الصغير شاعر الدعوة العربية، مثلما كان الأخطل الكبير شاعر الدولة العربية، والرابطة التي تربطه ببردى والنيل والفرات، قائمة على الحب والمشاركة في المجد واللغة والتاريخ. ولكن عيب هذا الاتجاه في شعر الأخطل الصغير أن يكون خطرات تقتضيها المناسبات، وأن يظل منبعه راكداً حتى يثيره حادث هنا وحادث هناك. ويبدو أن هذه النظرة الجمالية المجردة تجني – أو جنت- على هذا النبع، حتى غدا شعر الأخطل الصغير إذا أنت مثلته لنفسك كالكأس البلورية المكسورة في غير موضع، وأصبح القدم إحدى خصائصها وإن لم يفقد بعض جوانبها شيئا من البريق والتلاميع**)).

ويقول الأديب اللبناني صلاح لبكي:

" ويتصف شعره، على الأخص، بموسيقاه. فهو قد علم بسرّ الشعر العربي المطبوع على تجانس المقاطع وائتلافها، فوافق في نفسه وتراً فإذا بكل شعره قطع موسيقية، يسيطر عليها النغم العذب، حتى لتنصرف إليها النفس دون المعنى، وحتى ليغتفر العقل رداءة المعاني أحيانا وابتذالها، إلا أن الأخطل في موشحاته بلغ الغاية ".

ويقول الأديب خليل تقي الدين:

" وقلنا عن شوقي أنه يقلّد المتنبي، وقُلنا إن الأخطل الصغير كان يقلّد عمر بن أبي ربيعة"

ويقول الشاعر الياس أبو شبكة موجها كلامه إلى الأخطل الصغير:

" صحيح إنك صغير ولكنكَ لستَ أخطل ....."

فقال الأخطل الصغير رداً عليه:

أبـــــا شـــــــبيكة والأيـــــــام مهزلـــــــة

مـــــاذا؟ أحقـــاً تقـــول الـــشعر أم كــــذبا؟

لــو كنــتُ في الــوحش لا أرضــاك لــي ظفــراً

أو كنــتُ في الطــير لا أرضــاك لــي ذَنبــا

ويقول الروائي توفيق يوسف عواد :

" لقد غنى بشارة الخوري الجمال والحب، والحق والحرية، ولبنان والعروبة. ديوانه ليس سجلاً لآلامه وآماله فحسب، بل لآلام جيل كامل وآماله "

ويقول الأديب أنطون قازان:

" في شعره موسيقى رائعة، لقد أدرك أن الغنائية الصحيحة، هي على اللفظة، لا على الفكرة ..... ثم هو شاعر الصورة. إن صوره في دقة الحياة، وإبداع الفن ومتناول القارئ "

ويقول الشاعرة عادل غضبان:

" لم يكتف بأن غنى آلام الأمة العربية وأمجادها، بل وقف الكثير من شعره للتغني بجمال لبنان وأحداث لبنان وشعب لبنان. كما امتاز بشعره الغنائي، الغزلي، الوطني، الثوري، الخمري، القصصي والوصفيّ "

ويقول الناقد مارون عبود مقارنا بين قصيدتي الأخطل الصغير، وأمين نخلة ، في رثاء أمير الشعراء أحمد شوقي، حين نشرتها صحيفة (المكشوف) اللبنانية:

" أما قصيدة بشارة، فخطرات أفكار مبتذلة، وتعابير ألفناها، بخلاف قصيدة أمين ذات الصور الجديدة، والتعابير التي تدل على جهد وعناء، وتعب كثير في تأليف الكلام وتزويقه" .

ومهما يكن من أمر .... فإن الأخطل الصغير يبقى قمة شعرية خالدة وشامخة في سماء الوطن العربي، حيث كان وفياً للأصالة والكلاسيكية الحديثة.

الأخطل الصغير

مختارات شعرية

المتَنبي والشهْبَاء

نَفَيْتَ عنْكَ العلُى وَالظّرْفَ وَالأَدَبا

وَإِنْ خُلِقَتَ لَها ـ إِنْ لَمْ تَزُرْ حلَبَا

شَهْباءُ. لَوْ كانَتٍ الأَحْلامُ كأْسَ طِلاً

في راحَةِ الفَجْرِ كُنْتِ الزَّهْرَ و الحَبَبا

أوْ كانَ لِلّيْلِ أَنْ يَخْتارَ حِلْيَتَهُ

وَقَدْ طَلَعْتِ علَيْهِ، لازْدَرَى الشُّهُبَا

لَوْ أَنْصَفَ العَرَبُ الأَحْرارُ نَهْضَتَهُمْ

لَشيَّدوا لكَ في ساحاتِها النُّصُبا

لَكِنْ خُلِقَت لأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ

مَنْ يَعْشَقُ الذُّلَّ أَوْ مَنْ يَعْبُدُ الرُّتَبَا

مَلاعِبَ الصّيْدِ مِنْ حَمْدانَ، ما نَسلَوا

إِلَّا الأَهِلَّةَ وَالأَشْبالَ وَالقُضُبُا

أَلخالِعينَ علَى الأَوْطانِ بَهْجَتَها

وَالرَّافِعينَ علَى أَرْماحَها القَصَبا

حُسامُهُمْ مَا نَبا في وَجْهِ مَنْ ضَرَبوا

وَمُهْرُهُمْ ما كَبا في إِثْرِ مَنْ هَرَبا

ما جَرَّدَ الدَّهْرُ سَيْفاً مِثْلَ ((سَيْفِهِمِ))

يُجْري بِهِ الدَّمَ أَوْ يُجْري بِهِ الذَّهَبا

رَبٌّ القَوافِي علَى الإِطْلاقِ شاعِرُهُمْ

أَلخُلْدُ والمَجْدُ في آفاقِهِ اصْطَحَبا

سَيْفانِ في قَبْضَةِ الشَّهْبَاءِ لا ثُلِما

قَدْ شَرَّفا العُرْبَ بَلْ قَدْ شَرَّفا الأَدَبا

* * *

عُرْسٌ مِنَ الجِنِّ في الصَّحْراءِ قَدْ نَصَبَوا

لَهُ السُّرادِقَ تَحْتَ اللَّيْلِ وَالقُبَبا

كَأَنَّهُ تَدْمُرُ الزَّهْراءُ مارِجَةً

بِمِثْلِ لُسْنِ الأَفاعي تَقْذِفُ اللَّهَبا

أَوْ هَضبةٌ مِنْ خرُافاتٍ مُرَقَّعَةٌ

بِأَعْيُنٍ مِنْ لَظىً أَوْ مِنْ رُؤُوسِ ظُبى

تَخاصرَ الجِنُّ فِيها بَعْدَ ما سكروا

وَبَعْدَ ما احْتَدَمَتْ أَوْتَارُهُمْ صخَبَا

فَأَفْزَعَ الرَّمْلَ ما زَفُّوا ومَا عزَفوا

فَطار يَسْتَنْجِدُ القِيعانَ وَالكُثُبا

تكَشَّفَ الصبُّحُ عَنْ طِفْلٍ وَمارِدةٍ

لَهُ علَى صَدْرِهَا زَأْرٌ إِذا غَضِبا

كَأَنَّهُ الزِّئْبَقُ الرَّجْراجُ في يَدِها

أَوْ خَفْقَةُ البَرْقِ إِمَّا اهْتَزَّ وَاضْطَرَبا

نادَى أَبوهُ ــ عَظيمُ الجِنِّ ــ عِتْرتَهُ،

فأَقْبلَوا ينْظُرونَ البِدْعَةَ العَجَبَا

ماذا نُسَمِّيهِ؟.... قَالَ البَعْضُ صاعِقَةً

فَقالَ: كَلاَّ....فقَالوا: عاصِفاً ــ فأَبى

فَقامَ كَالطَّوْدِ مَنْهُمْ مارِدٌ لَسِنٌ

وَقالَ: لَمْ تُنْصِفوهُ اسْماً وَلا لَقَبا

سَنَبْعَثُ الفِتْنَةَ الكُبْرى علَى يَدِهِ

فَنَشْغَلُ النَّاسَ وَالأَقْلامَ وَالكُتُبا

وَنَجْعَلُ الشِّعْرَ رَبّاً يَسْجُدونَ لَهُ

فَإِنْ غَوَوْا فَلَقَدْ نِلْنَا بِهِ الأَرَبا

وَاختالَ غيرَ قليلٍ، ثُمَّ قالَ لَهُمْ:

سَمَّيْتُهُ المتُنَبِّي.... فانْتَشَوْا طرَبا

وَزَلزَلُوا البِيدَ حَتَّى كادَ سالِكُها

يَهْوِي بِهِ الرَّحْل لا يَدْري لَهُ سببَاَ

يَرى السرَّابَ عُباباً هاجَ زاخِرُهُ

وَالرَّملَ يلْتَحِفُ الأَزْهارَ وَالعُشُبا

* * *

إِيهٍ أَخا الوَفْرَةِ السوْداءِ كَمْ مَلِكٍ

أَعاضَكَ التَّاجَ مِنْها، لَوْ بِها اعْتَصبَا

طَلَبْتَ بِالشِّعرِ دونَ الشِّعْرِ مَرْتَبَةً

فَشاءَ رَبُّكَ أَنْ لا تُدْرِكَ الطَّلَبا

إِذَنْ لأَثْكَلْتَ أمَّ الشِّعْرِ واحِدَها

وَعُطِّلَ الوَكْرُ لا شَدْوًا وَلا زَغَبا

لَوْلا طِماحُكَ ما غَنَّيْتَ قافِيَةً

بِوَأْتَها الشَّمْسَ، أَوْ قَلَّدْتَها الحِقَبا

((خُذْ ما تَراهُ وَدَعْ شَيْئًا حَلَمْتَ بِهِ))

فَرُبَّ حُلْمٍ جَميلٍ أَوْرَثَ العَطَبا

أَبا الفتُوحاتِ لَمْ تُزْجِ الخَميسَ لَها

وَلا لَبِسْتَ إِلَيْها البِيضَ وَاليَلَبا

تَأْتي التُّخوَم فتَلَقْاها مُهَلِّلَةً

مِثْلَ المَريضِ أَتاهُ بِالشِّفاءِ نَبا

ما الفَتْحُ أَهْدَى إليَكَ الرَّوْضَ وَالسحُبا

كالفَتْحِ جَرَّ علَيَكَ الوَيْلَ وَالحرَبا

وَلَوْ فتَحَتَ بِحَدِّ السَّيْفِ لا نْحَطَمَتْ

تِيجانُ قَوْمٍ، حَشْوُها الظُّلْمَ وَالرَّهَبا

((ما كلُ ما يتَمَنَّى المَرْءُ يدْرِكهُ))

وَيدْرِكُ الغايَةَ القِصْوَى وَما طَلَبا

قَدْ يُؤْثِر الدَّهْرُ إنْسانًا فيَحرِمُهُ

مَنْ يَمْنَعِ الشَّيْءَ أَحيانًا فقَدَ وَهبا

يا مُلْبِسَ الحِكْمَةِ الغَرَّاءِ رَوْعَتَها

حَتَّى هَتَفْنَا: أَوَحْيًا قُلْتَ أَمْ أَدَبا

كَأَنَّما هِيَ أَصْداءٌ يُرَدِّدُها

هذا إذا بَثَّ، أَوْ هذا إذا عَتَبا

قالوا اسْتَبَاحَ أَرِسطوْ، حينَ أَعْجَزَهُمْ،

وَإِنَّهُ اسْتَلَّ مِنْ آياتِهِ النُّخَبا

مهْلاً، فَما الدَّهْرُ إلا فَيْضُ فَلْسَفَةٍ

يَعودُ بِالدُّرِّ مِنْهُ كُلٌّ مَنْ دَأَبا

مَنْ علَّمَ ابْنَ أَبي سُلْمَى ((حكيمَتَهُ))

وَقُسَّ ساعِدَةَ الأَمْثالَ وَالخُطَبا؟

قالوا الجَديدُ، فَقُلْنا: أَنْتَ حُجَّتُهُ

يا واهِباً كُلَّ عَصرْ كُلَّ ما خَلَبَا

أَفِكْرَةٌ لَمْ تكُنْ فَتَّقْتَ بُرْعُمَها

وَجِدَّةٌ لَمْ تكُنْ أُمًّا لَها وَأبا

بَعْضُ الجَديدِ الَّذي يدْعونَهُ أَدباً

يَموتُ في يَوِمهِ، هَذا إذا وُهبا

إِن لَمْ يكُنْ لكَ حُسْنُ الوَجْهِ تَعْرِضُهُ

فَقَدْ ظَلَمْتَ بِهِ أَثْوابَكَ القُشُبا

عَفْواً نَبِيّْ القَوافي، أَيٌّ نابِغَةٍ

لَمْ يَزْرَعوا حَوْلَهُ البُهْتانَ وَالكَذِبَا

مَنَعْتَ عَنْهُمْ ضِياءَ الشَّمْسِ فَانْحَجَبوا

فَهَلْ تَلومُهُمُ إِنْ مَزَّقوا الحُجُبا

أَضْرَمْتَ ثَوْرَتَكَ الهَوْجاءَ فَالتَهَمَتْ

مِنَ القَريضِ الهَشيمَ الغَثَّ وَالخَشَبا

وَغالَ شِعْرُكَ شِعْرَ الكائِدينَ لَهُ،

لِنَفْسِهِمْ حَفَرَتْ أَيْديهِمِ التُّربا

حَتّى رَجَعْتَ وَلِلأَقْلامِ هَلْهَلَةٌ

في كَفِّ أَبْلَغِ مَنْ غَنّى وَمَنْ طَرِبا...

يا خالِقاً جيلَهُ، لَوْلاكَ ما عرَفَتْ

لَهُ الأَواخرُ لا رَأْساً ولا ذَنبَا

غَضِبْتَ للعَقْلِ أَنْ يَشْقى فَثُرْتَ لَهُ

بِمِثْل ما انْدَفَعَ البُرْكانُ وَاصْطَحَبا

هَلِ النُّبوَّةُ إلاَّ ثَوْرَةٌ عَصَفَتْ

عَلى التَّقاليدِ حَتَّى تَسْتَحيلَ هَبا

ما ضَرَّ مُوقِدِهاَ، وَالخُلْدُ مَنْزِلُهُ،

إِذا رَمى نَفْسَهُ في نارِها حَطَبا.......

المعري

يا لها ثورة تأجَّج في صدركَ،

تردى الظُّنونُ فيها الظنونا

بَسمةُ الهزءِ، أين منها أبو بحرٍ

و ((فولتير)) سيِّدا الهازئينا

فأحايين لا أرى لكَ دِنيا

وأحايين لا أرى لكَ دِينا

لستْ أدري أأنت في وصفكَ النفس

مصيبْ، أمِ الحكيمُ ابن سينا

أيراها ورقاء من رَفرفِ الخلد،

وتبقى لديك ماءً وطينا ؟.......

سر ذي النَّفسِ لا مداره روما

أدركته، ولا شيوخ أثينا

هلْ رأيت النجوم تزداد نورا،

كلمّا أحلو لك الدجى، وفُتونا

هكذا الفكر يصدع الليلَ بالنورِ

إذا لم تك العيون عُيونا

سابحْ ما يشاءُ في بحرهِ الهادي

كما يدفع الشراع السَّفينا

أيبالي مَن عنده البعدُ والقربُ

سواءْ، أنْ يعجزَ المعجزينا

قد تحدُّ الأبعادُ من نافذِ الطرف،

فينهارُ متعبا مستكينا

عَثراتُ العيونِ نصف حياة المرءِ،

مهما يكنْ رصينا رزينا........

رُبِّ شاكٍ فقدَ العيونِ، ولا

ينفكُّ يهدي العيون للمبصرينا

في رثاء الزعيم المصري
سعد زغلول

قالوا دَهَتْ مِصرْ دَهْياءٌ فقُلْتُ لَهُمْ

هَلَ غُيِّضَ النيِّلُ أمْ هَلْ زُلْزِلَ الهَرَمُ

قالوا أشَدُّ وَأَدْهى، قُلْتُ: وَيْحكُمُ

إذنْ لَقَدْ ماتَ سَعْدٌ وانْطَوى العلَمُ...!

لِمْ لا تَقولونَ إنّ العُرْب قاطبَةً

تيَتَّموا، كانَ زُغْلولٌ أباً لَهُمُ

لِمْ لا تَقولونَ إنَّ صح مُضْطَرَبٌ

لِمْ لا تقَولونَ إنّ الشَّرْقَ مُضْطَرِمٌ

عَذَرتُكُمْ كانَ مِلْءَ الكَوْنَ صاحِبُكُمْ

فَكَيْفَ تَمْلأُّ أُذْنَ السَّامِعِ الكَلِمُ

لَلصمَّتُ أبْلَغُ مِنْها وَهْوَ مُنْسَحِقٌ

والدَّمْعُ أفْعَلُ مِنْها وَهْوَ مُنْسَجِمٌ

جاءَ النَّبيُّونَ منْ قَبْلٍ فَما لأَمُوا

وَجاءَ سَعْدٌ فَشَمْلُ الشَّرقِ مُلْتَئِمٌ

القائِلُ الَحقَّ لا تُثْنَى أعنَتُّهُ

والواحِدُ الفَرْدُ في أثْوابهِ أُمَمُ

لُطْفُ المَسيحِ مُذابٌ في مَحاجِرِهِ

وعَزْمُ أحْمَدَ في جَنْبيهِ يَحْتَدِمُ

صلَّى علَيْهِ النَّصارى في كَنائِسِهِمْ

وَالمُسلْمِونَ سعَوْا للِقَبْرِ واستَلَموا......

المؤْمِنونَ بِسَعْدٍ، أيْنَ أُبصِرُهُمْ

والمعُجْبَونَ بِسَعْدٍ: أيْنَ أيْن هُمُ

أفْري الطَّيالِسَ عَنْهُمْ لا أُشاَهِدُهُمْ

أبْري القَلانِسَ عَنْهُمْ لا أُحِسُّهُمُ

وَأسْألُ الحَفْلَ عَنْهُمْ لا يُجاوِبُني

كَأنَّما الحَفْلُ في آذانِه صَمَمُ

بلَى شَهِدْتُهُمُ وَالنَّقْعُ مُعْتَكِرٌ

وَالَحقُّ مُطَّلَبٌ... والثَّغْرُ مُبْتَسِمُ

رثاء الشاعر
جميل صدقي الزهاوي

قُولي لشَمِسكِ لا تَغِيبي

وتَكَبّدي فَلَكَ القُلُوبِ

بَغْدادُ ياَ وَطَنَ الجِهاَدِ

وَمُرْضِعَ الأدَبِ الخَصِيبِ

غَنّاكِ دِجْلَةُ وَالفُرَاتُ

قَصاَئِدَ الزّمَنِ العَجِيبِ

رقَصَتْ قوُافِيَها علَى

نَغَمِ البَشَائِرِ وَالحرُبِ

أعرَاسُ ((دارا)) مِن مقاطعها

وَخَيْبَةٌ سنَحْرِيبِ

حَتّى إذا طَلَعَ الرّشِيدُ

وَماجَ في الأُفُقِ الرّحِيبِ

صَهَرَ القرُونَ وَصاغَهَا

تاجاً لِمَفْرِقِكِ الحَبِيبِ

أُسْدَ العِراقِ، وماَ الرّياحُ

الْهوجُ طاِغيَةَ الْهُبوبِ

أمْضَى وَأنْفَذُ مِنْكِ، إذْ

تثَبينَ لِلأمْرِ العَصِيبِ

َقلّمْتِ أظْفَارَ الزّمَانِ

َورُعْتِ داهيَةَ الخُطُوبِ

وَبنَيَتْ بالقَلَمِ الحلَيمِ

وَبِالمُهنّدَةِ الغَصُوبِ

َمجْداً تنَقّلَ في العلُىَ

بيَنَ الأشِعةّ وَالطيّوُبِ

َبغدادُ يا شَغفَ الجمَال

وَملَعْبَ الغزَالِ الطرّوُبِ

َبنَتِ المكَارِمُ للعرُوبةَِ فيكِ

جاَمِعةَ القلُوبِ

بيَتْ ٌمِنَ الأخَلْاقِ ضاَقتَ ْ

عنَهُْ أخلْاقُ الشعُّوبِ

َوسعِ الديّاَناتِ السمِّاَحَ

وَضمَّ أشتْاَتَ الندّوُبِ

زَفَرَاتُ أحْمَدَ في رِسَالَتِهِ
وَآلامُ الصلّيبِ

بَغْدَادُ مَا حَمَلَ السرُّى

مِنّي، سِوَى شَبَحٍ مُرِيبِ

جَفَلَتَ لَهُ الصّحرَاءُ وَالتَفتَ

الكَثِيبُ إلى الكَثِيبِ

وَتَنَصّتَتْ زُمرُ الجنَادِبِ

مِن ْفُوَيْهَاتِ الثّقُوبِ

يَتَسَاءلُونَ، وَقَدْ رَأوْا

قَيْسَ المُلَوَّحَ في شحُوبي

وَالتّمْتَمَات علَى الشّفَاهِ

مُضَرَّجَاتٍ بالنّسِيبِ

تبْكي لَها قبْلَ الصبَّا

وَيَذُوبُ فِيهَا كُلُّ طِيبِ

يَتَسَاءلونَ: مَنْ الفتى العَربُّي

في الزّيِّ الغرِيب ِ؟....

صَحرَاءُ يا بِنتَ السماء البِكْرَ

وَالوَحْيِ الخَصيبِ

أنا لوْ ذكرْتِ، ذكرْتِ أحلامي

وَأنْغَامي وَكُوبي

إحْدَى الشّمُوعِ الذّائباتِ

أمامَ هيَكْلِكِ الرّهِيبِ

أنا دَمْعَةُ الأدَبِ الحَزينِ

رِسَالَةُ الأَلَمِ المذِيبِ

مِنْ قلبْ لبُنْانَ الكَئِيبِ

لِقَلْبِ بَغْدَاد الكَئِيبِ

* * *

لَبّيْكَ نَابِغَةَ العِرَاقِ

وَحُجّةَ الشّرْقِ القَرِيبِ

لَبّيْكَ مُعْجِزَةَ البَيَانَ

الحُرِّ وَالقَلَمِ الخَضِيبِ

حُجّاجُ رُوحِكَ، وَهْيَ مِلْءُ

الكَوْنِ، تَقْذِفَ بِاللّهِيبِ

تَخْبُو الشُّمُوسُ وتَنْطَفي

وَتَظَلّ نَامِيَةَ الشُّبُوبِ

حُلْمٌ سَفَكْتَ دَمَ الشّبَابَ

فِدىً لِمَبْسِهِ الشّنيبِ

حُبُّ الخُلُودِ، وَكَمْ أُرِيقَ

علَيْهِ مِنْ جَفْنٍ سكيبِ

لَوْلاهُ لَمْ تَلِدِ الطّرُوسُ

الحُمْرُ إِكْلِيلَ الأديبِ

آلَيْتُ أقْتَحِمُ الجَحيمِ

علَى جوَادٍ مِنْ ذُنُوبي

فأغُوصُ في الأبديّةِ الخرْساء

وَالأزَلِ القَطُوبِ

أتلَمّسُ الأَشْبَاحَ وَالأَرْوَاحَ

مِنْ خَلَلِ الحقُوبِ

حَتّى إذا انكَشَفَ الجَحيمُ

يئِزّ بالضَّرَمِ الصخُوبِ

سكنتُ ثَائِرَةَ الضلّوعِ

وَكادَ يَصرَعُني وَجيبي....

وَسألْتُ عَنْ ((دانْتي)) وَعَنْ

شَيْخِ المَعرّةِ ذي الرّيُوبِ:

أحَقِيقَةً عرَفَا لَظىً ؟.....

أمْ وَصْفُ مُبْتَدِعٍ نَجِيبِ

((لَجميلِ ليْلى)) فِيهِ مَا شاء

التّفَنُّنُ مِنْ ضُرُوبِ

صُوَرٌ مُلَوَّنَةُ الجنَاحِ

علَى مُخَيّلَةٍ خلُوبِ.....

آلَيْتُ أقْتَحِمُ الجَحِيمَ

علَى جوَادٍ مِنْ ذُنُوبي

آليَتُ..... لَكِنّي ارْعَويتُ

وَقُلْتُ: يانفسِي إهدَئي بي

مَهْمَا سمَا عَقْلُ الحَكيمِ

يزَلّ عَنْ حُجُب الغُيُوبِ

* * *

يا فَيْلَسوفَ العرْبِ والأَيامُ

كَالِحَةٌ النُّيُوبِ

هلاّ ذكَرْتَ لنَا العِرَاقَ

وَمَجْدَ غابِرِةِ الذَّهِيبِ

يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ ابنِ سِينَا

وَالنُّوَاسِيّ الأَرِيبِ

إرْثٌ وَهَبْتَ لَهُ الصبَّا

وَسَقَيْتَهُ دَمْعَ المَشِيبِ

وَنَشَرْتَ أنْجُمَهُ، على بغدادَ

مِنْ كَفَنِ المَغِيبِ

شَيْخَ القَرِيضِ، أبَا الرّصِينِ

الجَزْلِ وَالمَرَحِ اللَّعُوبِ

ما زِلْتُ ألَمحها، على لُبنانَ،

ظَافِرَةَ الوثُوبِ

مِنْ مِعْصَمِ النّبْعِ الدّفِيقِ

لمَعْطَفِ الغُصْنِ الرّخيبِ......

وَأخو الوفَا، لبُنانُ، يرْفُلُ

مِنَهُ في الثّوْبِ القَشيبِ

هُوَ وَالعِرَاقُ الحرُّ: مَهْدُ

هَوىً وَأيْكَةُ عَنْدَلِيبِ

فَجْرَانِ مِنْ مُزُنِ السّمَاء

وَوَرْدَتَانِ علَى قَضِيبِ

يا صالح بن علي

مَــــنْ شـــاعرٌ نــسقَ الرّيـــاضَ ونظّمــــا

أكبَـــــرتُ فيـــــه العبقــــريَّ المُلْهَمَـــــا

قـــالوا: الربيـــعُ. فقلـــتُ: مـــا أنكرتـــه

رشـــــفَ الـــــدموعَ وردهـــــنّ تبـــــسُّمَا

حمَــــــل المـــــشاعلَ لا يمــــــرُّ بربـــــوةٍ

إلا وخــــــضَّبَ باللـــــــهيبِ وضَــــــرَّما

فـــإذا الأريـــجُ ســـحائبٌ ورديُّـــةٌ

خـــــاض الهـــــزارُ عُبابَهـــــا وتحمّمـــــا

ثـــم اســـتقرَّ علـــى مُخَبَّـــا وردةٍ

فـــــشكاً وداعـــــب لحظـــــةً وترنَّمـــــا

وإذا الفَـــــرَاشُ رســـــولُ كـــــلِّ عـــــشيقةٍ

لعـــــشيقها، بـــــأبي الرســـــولَ الأبكمـــــا

****

يــا ((صــالحُ بــنُ علــيّ)) هــل لــك في يــدٍ

فلقــد وُجــدتَ لكــي تُغيــث وتَرحمــا

هـــذا الربيـــع ُعـــشيةٌ وصـــباحُهَا

وافـــى ربيعَـــك لا ئـــذاً مُتـــذمِّما

حتـــى يَظَـــلَّ ـــ علـــى الزمـــان مُخَلَّـــداً

وتظـــلَّ تـــذكرة القـــصائدُ كلّمـــا....

صـــرحُ العروبـــةِ أيـــن كـــان مقـــرُّه

أوْمَـــى اليـــك، وقـــد تهلّـــلَ وانتمـــى

إنـــي لمحـــتُ لِـــواك فـــوق قبابـــه

مترنّحـــاً، ولمحـــتُ روحـــك حَوَّمـــا

لـــو أنـــصفوا كتبـــوا علـــى شُـــرفُاتِه

هـــذا الـــذي نَفَـــحَ الحُـــسام المِرقْمَـــا

لـــيس الـــذي صـــقل البنـــاءَ وزانَـــه

مثـــلَ الـــذي رفـــعَ البنـــاءَ وأحكمـــا

زرع المهنَّـــــــدُ والــــــــيراعُ ليعـــــــــرُبٍ

وجنـــــى الــــذي جهلـــتْ يــــداه كليهمـــــا

****

تَعِـــبَ الجهـــادُ مــــن الطَّـــواف فلـــم يجـــدْ

شـــــــرفاً أعـــــزَّ، ولا مقامـــــــاً أكرمـــــــا

فرمـــــى الأكاليــــلَ الــــتي ضُـــفِرَتْ لـــــه

لمـــــــا رآكَ مُعَـمِّـــــــــماً، وتَـعَـمَّــــــــــما

****

قُـــلْ لـــ((المَعَـــرّي)) إنْ ظَفِـــرتَ بروحــــه

أوقِـــــفْ علـــــى مثـــــواه نـــــاجِ الأعظمـــــا

وانقـــلْ إليــــه الــــضَّجّةَ الكــــبرى الــــتي

غمــــرتْ بهــــذا النــــورِ هـــذا الموســـــما

أنَّـــــى التَفَـــتَّ، وكيــــف طُفــــتَ ترَبــــه

حبّــــــاً تنـــــصَّرَ، أو إخـــــاءً أســــــلما

((أللاذقيُـــــــةُ)) أم وســـــاوسُ حـــــالم

أصـــعدتُ، هبطَــتْ علـــى أرضـــي الـــسَّما؟

إنْ كنـــــتُ أجهـــلُ أرضَـــها وسماءَهـــا

مـــا كـــان يمـــنعُني الهـــوى أنْ أحلُمَـــا

وأنـــا الـــذي غَـــذَّى الجمـــالَ بـــشعره

وحنـــا عليـــه ســـافراً أو مُثلَمَّـــا

****

طالعـــتُ وجهَـــكَ والـــصباحَ فلـــمْ أكـــدْ

أتـــبّين الـــصبحَ المنـــورَّ منهمـــا

وذكـــــرتُ في الجلّـــــى شـــــبابك

فعرفـــتُ كيـــفَ تُـــصانُ بـــالُمهَج الحِمِـــى

وكأنمـــا الأخَـــوَانِ خلقُـــك والنَّـــدى

ولـــدتْهمـــا أمُّ المكـــارمِ توأمـــا

****

خُـــــذْها أليـــــك أبـــــا الجهـــــاد فانهـــــا

لـــــولاك مـــــا طبعـــــتْ علـــــى فمهـــــا فمَـــــا

صَـــــغُرتْ فهبْهـــــا في اللآلـــــئ حبَّـــــةً

أولا ... فَهْبهـــــا في الأزاهـــــر بُرْعُمـــــا

لبنان عيد ما أرى

من وطنياته حيث يبدو الجانب الوطني الثوري في شعره

لُبْنانُ عيدٌ ما أرى أمْ مَأتَمُ

للهِ أنْتَ وَجُرْحُكَ المتُبَسِّمُ..

عَصَرُوا دُمُوعكَ وَهْيَ جَمْرٌ لاذِعٌ

يَتَنَوَّرُونَ بِهَا وَصُبْحُكَ مُظْلِمُ

* * *

قُلْ لِلرَّئِيسِ إذا أتَيْتَ نَعِيمَهُ

إنْ يَشْقَ رَهْطُكَ فَالنّعِيمُ جَهَنَّمُ

أيُطَوِّفُ السَّاقي هُنَا بِكُؤُوسِهِ
وَيُزَمْجِرُ الجَاني هُنَاكَ وَيرْزِمُ

تَعْرَى الصُّدُور هُنَا على قُبَلِ الهَوَى
وَهُنَاكَ عَارِيَةٌ تَنُوحُ وتَلْطِمُ

وَالكَهْرُبَاءُ هُنَا تَشِعُّ شُمُوسُهَا
وَسِراجُ أكثرِ منْ هُنَاكَ الأنْجُمُ...

* * *

لُبْنان يا بلَدَ السَّذاجةِ والوَفا
حلُمٌ.. وهل غيرُ الطّفولةِ يَحْلُمُ

هذا حَصِيرُكَ والحُبيْباتُ التي
كانتْ غِذاءَكَ واللّحافُ المُبْهَمُ

بِيعتْ لِتُهرَقَ في الكُؤوسِ مُدامَه

هي- لا رونَهْمُ ـ أنفُسٌ تتَأَلَّمُ

* * *

لُبنانُ شاعِرُكَ الذي غاضَبْتُهُ

ترَكَ العِتابَ وَقَدْ أتاكَ يُسلِّمُ

صدَّاحُكَ الشّادي على هَضَباتِهِ

كم ((مَعْبَدٍ)) في عُودِهِ يتَرَنّمُ

هو في كِلا حالَيْكَ أنْتَ غرَامُهُ

وعلى كِلا حالَيْهَ ذاكَ المغْرَمُ...

المسلول

حَسْنَاءُ، أيَّ فَتىً رَأَتْ تَصِدِ

قَتْلى الهَوَى فِبهَا بِلا عَدَدِ

بَصرَتْ بِهِ رَثَّ الثّيابِ، بِلا

مَأوىً بِلا أهْلٍ بِلا بَلَدِ

فَتَخَيّرَتْهُ، وَكانَ شَافِعَهُ

لُطْفُ الغزَالِ وَقُوّةُ الأسَدِ

* * *

وَرَأَى الفَتى الآمَالَ بَاسِمَةً

في وَجْهِهَا لفُؤادِهِ الكَمِدِ

والَمالَ مِلْءَ يدَيْهِ، يُنْفِقُهُ

مُتَشَفّياً إنْفَاقَ ذي حردِ

ظَمْآنُ وَالأهْوَاءُ جَارِيَةٌ

كَالسّلْسَبِيلِ، مَتى يرُدْ يَرِدِ

رَوْضٌ مِنَ اللذّاتِ، خَيّةٌ

أثْمَارُهُ خلْوٌ مِنَ الرّصَدِ

نِعَمٌ أفَانِينٌ، يكادُ لَها

يخْتالُ مِنْ غلُوَاهُ في برُدِ

ماضيهِ، لَوْ يدْري بِحاضرِه،

رغثمَ الأُخُوّةِ ماتَ مِنْ حَسدِ

* * *

سكْرانٌ، و َالكاساتُ شاهِدَةٌ،

أَنّ الكُؤوسَ لَها مِنَ العُدَدِ

سكْرانٌ لا يَصْحُو كَسكْرَتِهِ

أمْساً، وَسكْرَتهِ غدَاةَ غَدِ

سكْرانُ، وَهْيَ تَزُقّهُ قُبلاً

وَيُزّقَها، وَإذا تَزِدْ يزَدِ

سكْرَانُ، وَهْيَ تَمُصُّ مِنْ دَمِهِ

وَتُرِيهِ قَلْبَ الأمّ لِلْوَلَدِ

سكْرَانُ، حَتّى رَأسُهُ أبَداً

لا يَسْتَقِرّ لِكَثْرَةِ المَيدِ

قالتْ لَهْ: ((نَمْ، نَمْ لِفَجْرِ غَدِ

ضَعْ رَأسكَ الوَاهِي على كَبِدي

نَمْ، لا تُسَلّطْ يا حَبِيبِ عَلَى

مَخْمُورِ جِسْمِكَ قِلّةَ الجَلَدِ

عَيْنَاكض مُتَعَبَتانِ مِنْ سَهَرٍ

وَيَدَاكَ رَاجِفَتَانِ مِنْ جَهَدِ

-لا، لا أَنامُ وَلا أذوقُ كَرىً،

إنَّ النّهَارَ مَضَى وَلَمْ يعُدِ

لا، لا أنامُ وَلا أذوقُ كَرىً،

أنَا لَسْتُ مَنْ يَحْيَا لفَجْرِ غَدٍ

سَلْمَى، أحِسُّ النّارَ سائِلَةً

بِدَمي، وَتَجْري مَعْهُ في جَسَدي

وَأحِسُّ قَلْبي فاغِراً فَمَهُ

لِلْحُبّ، للذّاتِ لِلرَّغَدِ

إنْ ضَاعَ يَوْمي، ما أسِفْتُ علَى

خُضْرْ الرّبيعِ وَزُرْقَةِ الجَلَدِ

* * *

-نَمْ لا تُكابِرُ، كادَ رَأْسُكَ أنْ

يَهْوى بكأسِكَ، غَيَرَ أنّ يَدي...

-يَهْوِى!.. نَعَمْ يا فِتنتَي وَمني

نَفْسي، وزَهْرَةَ جَنّةِ الخُلُدِ

يَهْوِى!... ولِمْ لا، وَالشبابُ ذَوى

وَعلى شبَابي كانَ مُعْتَمَدِي

لَمْ تُبْقِ لي مِنْي، سوَى رَمَقٍ

مُتَرَاوِحٍ في أضلُعٍ هُمُدِ.....

رَبّاهُ مُذْ يَوْمَينِ كُنْتُ فَتىً

لي قُوّتي وَشَبيبتَي وَغَدِي

وَالَيْومَ، أُسْرِعُ لِلْبِلى، وَأنا

لَمْ أَبْلُغِ العِشرينَ أوْ أكَدِ

سلْمَايَ إنّكِ أَنْتِ قاتلِيَ!

فَجَميلُ جِسمِكِ مَدفَني الأبَدي

وَخَوِيلُ شعَرْكِ صارَ لي كَفَنَاً

كَفَنَ الشّبابِ ذَوَى وكانَ نَدى

سلَمْى اْخفِئِي الأنْوَارَ وافْتَتَحِي

هَذِي الكُوَى لنَسَائِمٍ جُدُدِ

وَدَعي شعُاعَ الشّمسِ يَضْحَكُ لي

فَشعُاعهُا بَرْدٌ علَى كَبدي

وَدَعي أرِيجَ الزّهرِ يُنْعِشُني

وَهَديلَ خَيْرِ الأَيْكَةِ الفَرِدِ

أنا، إنْ قضَيتُ هوىً، فلا خَلَعَتْ

شَمْسُ الضّحَى بَعْدي على أحَدِ))

* * *

ـ أنا إنْ قَتَلْتُكَ كَيفَ تحفَظْني

إنْ صَحّ زَعْمُكَ، حِفظَ مُقْتَصِدِ

أوْ كُنتَ مُتَّ للَيْلَتَيْ جَهَدِ

يا مُهْجَتي خَفّفْ وَلا تَزِدِ

ـ لا، أنتِ مُحْيِيتَي وَمُنْقِذَتي

مِنْ عَيْشِيَ المتُنِكرِّ النّكدِ

أفأَنْتِ قاتِلَتي؟ كَذَبْتُ أنَا،

لَوْلاكِ كُنْتُ أذَلَّ مِنْ وَتَدِ

لَكِنّهما العُشّاقُ، عادَتُهُمْ

ذِكْرُ المنَايَا ذِكْرَ مُفْتَئِدِ

يبَكُونَ مِنْ جَزْعٍ لِلَذّتِهِمْ

أنْ لا تكُونَ طَوِيلَةَ الأَمَدِ......

قَلْبِي لِقَلْبِكِ خافِقٌ أَبَداً

وَيَظَلُّ يَخْفُقُ غَيْرَ مُتّئِدِ

ـ إنْ كانَ ذاكَ، فَهَذِهِ شَفَتي

مَن يَشْتَعِلْ ذاكَ، فَهَذِهِ شَفَتي

وَتَصافَحا فتَعانَقا فهُمَا

رُوحَانِ خَافِقَتانِ في جَسَدِ

* * *

نَهبَا أُوَيقَاتِ الصّفَاء، وَقَدْ

عكَفَا علَيْهَا عكْفَ مُجْتَهِدِ

وَتَرَشّفَا كأسَ الغَرَامِ، وَمَا

تَرَكَا بِهَا مِنْ نَهْلَةً لِصَدِي

وَمَشَى الهَوَى بِهِما كَعادَتِهِ،

وَالبَحْرُ لا يَخْلُو مِنَ الزَّبَدِ.......

سَنَةٌ مَضَتْ، فإذا خَرَجْتَ إلى

ذاكَ الطّرِيقِ بِظاهِرِ البلَدِ

وَلَفَتَّ وجْهكَ يمْنَةً، فَتَرَى

وَجْهاً متى تَذْكرْهُ ترْتَعِدِ:

هَذا الفَتى في الأمْسِ، صارَ إلى

رَجُلٍ هَزِيلِ الجِسْمِ مُنْجَرِدِ

مُتَلَجْلِجِ الألْفَاظِ مُضْطَرِبٍ

مُتَوَاصِلِ الأَنْفَاسِ مُطّرِدِ

مُتَجَعّدِ الخَدّينِ مِنْ سَرَفٍ

مُتَكَسّرِ الجَفْنَينِ مِنْ سُهُدِ

* * *

عَيْنَاهُ عالِقتَانِ في نَفَقٍ

كَسِراجِ كُوخٍ نِصْفِ مُتّقِدِ

أوْ كالحُبَاحِبِ، باخَ لامِعُهُ،

يَبْدُو مِنَ الوَجَنَاتِ في خُدَدِ

تَهْتَزُّ أنمُلُهُ، فَتَحْسَبُهَا

وَرَقَ الخَريفِ أصِيبَ بالبَرَدِ

وَيكادُ يَحْمِلُهُ، لِمَا تَرَكَتْ

مِنْهُ الصّبَابَةُ، مخْلَبُ الصرُّدِ

* * *

يَمْشِي بِعِلّتِهِ علَى مَهَلٍ

فَكَأنّهُ يَمْشِي على قَصَدِ

وَيَمُجُّ أحْياناً دَماً، فَعلَى

مِنْدِيلِهِ قِطَعٌ مِنَ الكَبِدِ

قِطَعٌ تأَبِينٌ مُفْجِّعَةٌ

مكْتُوبةٌ بِدَمٍ بِغَيرِ يدَِ

قِطَعٌ تَقُولُ لَهُ: تَمُوتُ غَداً

وَإذا ترِقُّ، تقولُ: بَعدَ غدِ.....

وَالمَوْتُ أَرْحمُ زَائِرٍ لِفَتىً

مُتَزَمّلٍ بِالدّاءُ مُغْتَمِدِ

قَدْ كاَن مُنْتَحِراً، لَو أَنّ لَهُ

شِبْهَ القِوَى في جِسْمِهِ الخَضِدِ

لَكِنّهُ، وَالدّاءُ يَنْهَشُهُ،

كالشِّلْوِ بيَنَ مَخالِبِ الأَسَدِ......

جَلْدٌ علَى الآلامِ، يُنْجِدُهُ

خَلَلُ الشبابِ ودَارِسُ الصَّيْدِ.....

* * *

أيْنَ التي علِقَتْ بِهِ غُصنُاً

حلْوَ المَجاني ناضِرَ الملَدِ

أيْنَ التي كانَتْ تَقُولُ لَهُ:

ضَعْ رَأْسكَ الواهي على كَبِدي؟.....

ماتَ الفَتى، فأُقِيمَ في جَدَثٍ

مُسْتَوحِشِ الأَرْجاء مُنْفَرِدِ

مُتَجَلِّلٍ بِالفَقْرِ، مُؤتَزِرٍ

بالنّبْتِ مِنْ مُتَيَبِّسٍ وَنَدِي

وَتَزُورُهُ حِيناً، فَتُؤنِسُهُ

بَعْضُ الطّيُورِ بصَوْتِهَا الغَرِدِ......

يا مجد . . يا جنون

يا مَجْدُ

يا فَنٌّ، يا جنُونْ

لَمْ تُبْقِ منِّي

الليالي، سِوى

خَيالِ خَيالي،

لا النَّحْلُ

يَرْشُفُ شَهْدي

وَلا الفَراشْ،

وَكانَ جِيدي

وَخَدِّي

لَها فِراشْ

أبَعدما

كانَ نَهْدي يرْوي

العِطاشْ،

أصْبَحْتُ وَحْدي....

أيْنَ الهَوى

وَالفُتونْ

وَالعُصْبَةُ المُعْجَبونْ......

ناي الهوى

أَيُّها البُلْبُلُ المغرِّدُ في اللَّيْلِ

على كُلِّ أَخْضَرٍ ميَّادِ

أَنا أَدْرى بالطَّيرِ حِينَ تُغَنِّي

كَمْ جِرَاحٍ سَالَتْ على الأَعْوَادِ

سَلْ ضفافَ الهَوَى أَأَنْبتْنَ غُصْناً

كَحَبِيبي أو خائراً كفؤادي

كَلَّمَا هَلْهَلَ الأَغاني عليها

قبّلَتْهُ وأنكرت كُلَّ شادِ

خلق اللَّهُ للهوى قبلة الرُّوح

وراءَ الخدود والأَجْيَادِ

نحن عرسان للغناء وللشّعرِ

جلَتْنَا مواكبُ الأَعْيَادِ

أنا نايُ الهوى الَّذي اخترع اللَّهُ

وأَنْتِ الفريدُ من إنشادي

إلى امرأة

ماذا؟ أحقاً كُنْتِ بي تَهْزَئِينْ

وَكُنْتِ في حُبِّكِ لي تكْذِبِينْ

لَمْ تَخْدَعِيني مُطْلَقاً إنَّمَا

نَفْسكِ يا هَذي التي تَخْدَعِينْ

مَنَعْتُ حُبِّي عَنْكِ لَكِنَّما

مَنَحْتُ عَفْوي شِيمَةَ الأكْرِمِينْ

مَهْلاً فَمِصْبَاحُكِ لَمْ يأتَلِقْ

إلاَّ بِما مِنْ شُعْلَتِي تَقْبسينْ

مَهْلاً فَإنِّي مثْلُ ذَاكَ الذي

في عُرْسِ قَانا أَدْهَشَ العَالَمينْ

صَيَّرْتُ خَمْراً آسِنَ الماَءَ في

نَفْسِكِ: خَمْراً يُنْعِشُ الشَّارِبِينْ

وَلِيمَةٌ كانَتْ لَنا في الهَوَى

أَكْثَرْتُ فِيها عَدَدَ المُعْجَبِينْ

هَلْ كُنْتِ في أَبْهَى لَيَالي الهَوَى

أَيَّامَ كُنْتِ فِتْنَةَ النَّاظِرِينْ

هَلْ كُنْتِ إذْ ذَاكَ سوَى آلَةٍ

أَلْحَانُهَا مِنِّي وَمِنْهَا الرَّنِينْ

أنْشَدْتُ أحْلامِي على فَارِغٍ

مِنْ خَشَبِ القَلْبِ الذي تَحْمِلِينْ

كالنَّغَمِ الرَّنَّانِ في آلَةٍ

فَارِغَةٍ تَحْتَ يَدِ الضَّارِبِينْ

إنْ جَاءَتِ الألْحَانُ تَسْبِي النُّهَى

فَأيٌّ فَضْلٍ عِنْدَهَا تَدَّعِينْ

ألَمْ أكُنْ أسْتطِعُ إنْشَادَهَا

على المَلا مِنْ غَيْرِ مَا تُذْكَرِينْ

إنِّي لِكَيْ أُبدِعَ هذَا السَّنَا

مِنْ عَدَمٍ....... وَلَمَ يَعِشْ غَيْرَ حِينْ

لَقَدْ كَفَانِي أنَّي عَاشِقٌ

وَأنَّي كُنْتُ مِنَ المؤْمِنِنْ

وَالآنَ سيري في الطّرِيقِ الذي

شِئْتِ فلَي أيْضاً طَرِيقٌ أمِينْ

سِيري ولا تنسي بأنْ تَسْتَرُي،

إنْ كُنْتِ تَسْتَحْيِينَ، ذاكَ الجبَينْ

مأدبةَ أفرَغْتُ كأسِي بِهَا

وَقُمْتُ عنْهَا لا كمَا تزْعمِينْ

فَفَضْلَةُ الكأْسِ التي عِفتُها

تَرَكْتُهَا لِلْخَدَمِ السَّاقِطِينْ[1]

---

(١) هذه القصيدة مترجمة عن الفرنسية

بأبي أنت وأمي

إِسْقِنِيهاَ، بأبي أنتَ وَأُمّي

لا لتَجلو الهَمّ عنّي، أنت هَمّي

إِملْإِ الكأسَ ابتِساماَ وَغرَاماَ

فَلَقَدْ نَامَ النَّدامَى وَالْخزَامَى

زَحَمَ الصبْحُ الظّلاماَ فإلاماَ.......

قُمْ نُنَهْنِهُ شَفَتَيْناَ

وَنُذَوِّبْ مُهْجَتَيْنَا

وَنُذَوِّبْ مُهْجَتَيْنضا

رَضِيَ الحُبٌّ علَيْنَا يَا حَبيبي

بأبي أُنتَ وَأُمّي، إِسْقِنيهَا

لا لتَجلو الَهمّ عنّي، أنْتَ هَمّي

غَنّي وَاسكُبْ غِنَاكْ وَلَمَاكْ

في فَمي، فَديّتُ فاكْ، هَلْ أرَاكْ

وَعلَى قَلْبي يدَاك ْورِضَاكْ

هكَذا أهْلُ الغزَلْ

كلُّمَا خافُوا المَلَلْ

أَنعَشُوهُ بِالقُبَلْ يا حَبيبي

بأبي أَنْتَ وَأُمّي إِسقِنيِهَا

لا لتَجلو الَهمّ عَنّي، أَنْتَ هَمّي

صبُّهَا مِنْ شَفَتَيْكْ في شَفَتَيّا

ثّم غَرّقْ ناظِرَيْكْ في ناظِرَيّا

وَاختَصِرْهَا، ما علَيك ْأو علَيّا

إنْ تكُنْ أَنتَ أنَا،

وَجَعَلْنَا الزّمَنَا

قَطْرَةً في كَأسِنَا يا حَبيبي

بأبي أنتَ وَأُمّي، إِسْقِنِيهَا

لا لتَجلو الهَمّ عنّي، أنتَ هَمّي

غَنّي وَاسكُبْ غِنَاكْ وَلَمَاكْ

في فَمي، فَدّيتُ فاكْ، هَلْ أرَاكْ

وَعلَى قَلْبي يَـدَاكْ وَرِضَاكْ

عمرٌ ونُعمٌ

أخَاكَ يا شِعْرُ فَهَذَا عُمَرُ

وَهَذِهِ نُعمٌ وَتِلْكَ َالذِّكَرُ

لَوْحَانِ مِنْ فَجْرِ الصِّبَا وَوَرِدْهِ

غَذّاهُمَا قَلْبٌ وَرَوّى مِحْجَرُ

فَرْخَانِ في وَكْرٍ، تَلاقَى جَانِحٌ

وَجَانِحٌ وَمِنْقَرٌ وَمِنْقَرُ

يَخْتَلِسُ القُبْلَةَ مِنْ مَبْسَمِهَا

هَلْ تَعَرِفُ العُصْفُورَ كَيْفَ يَنْقُرُ؟

وَهوَ إذَا أمْعَنَ في ارْتِشَافِهَا

علّمنَا كَيْفَ يَذُوبُ السُّكّرُ

رِسَالَةٌ مِنْ فَمِهِ لِفَمِهَا

كَذَا رِسَالاتُ الهَوَى تُخْتَصَرُ

* * *

إِيهِ أبَا الخَطّابِ، ما أحْلَى الهَوى

تنَظِمُ مِنْ نَوّارِهِ و تَنْثُرُ

فَبَعْضُهُ يَحْلُمُ في أوْرَاقِهِ

وَبَعْضُهُ عَلَى الرُّبَى مبُعَثَرُ

مَلأتَ أُفْقَ الحُبّ عِطَراً وسَنىً

وَصُوراً لِلْوَحْيِ فِيهَا سُوَرُ

ألجَنّةُ الزّهرَاءُ مَا تَرْسُمُهُ

وَالخمْرَةُ العَذْرَاءُ مَا تَعتَصرِ

وَالنّغَمُ الخَالدُ مَا تُنْشِدُهُ

وَالمَثَلُ الشّارِدُ مَا تَبْتَكرُ

الطَّرِبُ السَّمْحُ إذا دَارَتْ خِلا،

أوِ سبَقٌ: فَالشّاِعرُ المغُبَرِّ

حلّقْ وَلا تَحْفِلْ، أأزْرَى حَاسدٌ

أوِ انبَرَى لِحَتِفِهِ شوُيْعرُ

عَابَ علَى البُلْبُل مَا يَطْرَحُهُ

مِنْ رِيشِهِ وَهْوَ بِهِ يأتَزِرُ

* * *

قُلْ لي بِنُعمٍ، وَبأتْرَاب لهَا

يلْعَبْنَ مَا شَاء الصبِّا وَالأَشَرُ

لَيْلَة ذي دَوْرَانَ، هلْ كانتْ كَمَا

حَدّثْتَ، أمْ أخْيلِةٌ وصُوَرُ

وَنُعْمُ هَلْ كانَتْ كَمَا صوَّرْتَ، أمْ

بالَغَ في تلْوِينِهَا المُصَوِّرُ

وَذَلِكَ ((المِجَنُّ)) ؟... مَا أوْهَنَهُ

يكَادُ مِنْ رِقّتِهِ ينَتْثَرُ

يا للْمُنَى، أعَنْ يمَِينٍ كاعِبٌ

وَعَنْ شمِاَلٍ كاعِبٌ ومَعْصرُ

فَمِنْ هُنا حَيْثُ تَنَدّى الزَّهْرُ

وَمِنْ هُنَا حَيْثُ تَدلّى الثّمَرُ

وَأنْتَ لا تَألُو دعِاباً في الهَوَى

شَمٌّ وَتَقَبِيل وَأشْيَا أُخَرُ

* * *

قالوا الحِجَازُ مُجْدِبٌ لَمّا عَمُوا

وَنُعْمُ فِيهِ رَوْضَةٌ وَنَهَرُ

إِنْ زَقّتِ العُودَ أنَاشِيدَ الهَوَى

حَنّ لَها العُودُ وَجُنّ الوَتَرُ

أوَ صَفَّقَتْ للّهوْ في أتْرَابَها

مَاجَ لهاَ الوَادي وَغَنِّى الشّجَرُ

الحُبُّ مَذْبُوحٌ علَى أقْدَامِهاَ

وَالحُسْنُ في أَلْحاَظِهاَ يُكَبِّرُ

تَعَرّتِ الّشمْسُ على وَجْنَتِهاَ

وَانْشَقّ ـ لوْ تَعْلَمُ أيْنَ ـ القَمَرُ.....

العِنَبُ الأَحْمَرُ مَسْفُوحٌ علَى

شَفَتَها، ما الأَقْحُوَانُ الأَصْفَرُ؟!

وَالوَرْدَةُ البيَضاَءُ أوْ قُلْ نَهْدُهاَ

كأنّهُ مِنْ خُيَلاءِ يَسْكَرُ

مِنْ ثَمَرِ الفِرْصَادِ في ذُرْوَتِهِ

الرّيّانَةِ المِعْطَارِ ((كِبْشٌ)) أَحْمَرُ

أوْ أنّهُ رَأسُ مَلاكٍ أشْقَرٍ

يَحْمِلُهُ صَدْرٌ حَنُونٌ أشْقَرُ

دَغْدَغَهُ أخُو هَوىً، فَمَدّ مِن

لِسَانِهِ وَرَاحَ شَهْداً يَقْطُرُ

* * *

لَوْ أنْصَفَ الشّعْرُ، وَقَدْ فَجّرْتَهُ

جَدَاوِلاً يَسْطَعُ مِنْهَا الشّرَرُ

تُجَدّفُ الأَحْلامُ في أَلْوَاحِهِ

وَيَتَعَرّى عِنْدَهُنّ السّحَرُ

لَوْ أنْصَفَ الشّعْرُ لَكُنْتَ قبْلَةً

مَعْسُولَةً في ثَغْرِهِ يَا عُمَرُ

أوْ أنْصَفَتْ نُعْمُ، وقَدْ أبْرَزْتَهَا

لِلْفِتْنَةِ الكُبْرَى مِثَالاً يُؤْثَرُ

في بِدْعَةٍ للشّعْرِ لم يَحْلُمْ بِهَا

قَيْسٌ، ولَمْ يَنْهَدْ لَهَا كُثَيّرٌ

تَدَاولَتْهَا هَضْبَةٌ فَهَضْبَةٌ

وَنَاولَتْهَا لِلْخُلُودِ الأَعْصُرُ

لَوَ أنْصَفَتْ لَكَشَفَتْ عنْ صَدْرِها

تَوَدُّ لَوْ تُطْبَعُ تِلْكَ الأَسْطُرُ

وَصَفَقّتْ لِعُمَرٍ قَائِلَةً

بنَاظِرِي الأَسْوَدَ هَذَا الأَسْمَرُ

* * *

الشّعْرُ رُوحُ اللهِ في شاَعِرِهِ

ذَلِكَ يُوحِيهِ وَهَذَا ينْشُرُ

الحِكْمَةُ الغَرّاءُ مِنْ اسْمَائِهِ

وَعَدْنٌ مِنْ أوْخَانِهِ وَعَبْقَرُ

لَهُ علَى الآفَاقِ فتْحٌ زَاهِرٌ

وَفي عُبَابِ الماَء فَتْحٌ أزْهَرُ

يُمْضِيهِمَا مِنْهُ خَيَالٌ مَارِدُ

أبُو الفُتُوحاتِ الّذي لا يُقْهَرُ

تَعَلّقَ العِلْمُ علَى أَسبْابِهِ

فَحلّقَ الطّوْدُ وقَالَ الحَجَرُ.......

* * *

رِفْقاً أبَا الخَطّابِ.... جاوَزْتَ المُنَى

فَهَلْ ترَى في الأفْقِ تاجاً يُضْفَرُ

أَشْرِفْ علَى الذّرْوَةِ.. كمْ في سَفْحِها

للِطّيْرِ مِنْ أجْنِحَةٍ تكَسَّرُ......

ثَلاثَةٌ ما عِشْتُ عاشَتْ للعُلى:

الحُبُّ ثُمّ الشّعْرُ ثُمّ المِنْبَرُ

لَوْلاكَ والشّعْرُ الّذِي أبْدَعَتَهُ

مَا نُعْمُ، ما دَوْرَانُ إلاّ أثَرُ

مَا الحُسْنُ لَوْلا الشّعرُ إلاّ زَهْرَةٌ

يلْهُو بِهَا في لَحَظَتَيْنِ النّظَرُ

لَكنّهَا، إنْ أَدْرَكَتْهَا رِقّةٌ

مِنْ شَاعِرٍ، أوْ دَمْعَةٌ تَنْحَدِرُ

سَالَتْ دِمَاءُ الخُلدِ في أوْرَاقِهَا

وَنَامَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا القَدَرُ

في عيونه خبَر

قَـــدْ أَتَـــاكَ يَعْتَـــذِرُ	لا تَـــسَلْهُ مـــا الخبَـــرُ

كُلَّمـــا أطَلْـــتَ لـــه	في الحــــديثِ يَخْتَـــصِرُ

في عيونـــــهِ خَـــــبرُ	لـــيسَ يَكْـــذِبُ النَّظَـــرُ

قـــد وَهَبْتُـــهُ عُمُـــرِي	ضَـــاعَ عِنْـــدَهُ العُمُـــرُ

حُبُنـــا الـــذي نَـــشَرُوا		مِـــنْ شَـــذَاهُ مـــا نَـــشَرُوا
صُـــــوِّحت أزاهِـــــرُهُ		قَبْـــــلَ يُعْقَـــــدُ الثَّمَـــــرُ
عُـــدْ فَعَنْـــكَ يُؤْنِـــسُني		في سَـــــــمائِهِ القَمَـــــــرُ
قَـــدْ وَفـــى بَمْوعِـــدِهِ		حـــينَ خَانَـــتِ البَـــشَرُ

أرقُّ الحُسْن

يبْكــــي وَيــــضْحَكُ لا حُزْنــــاً ولا فَرَحــــا

كعاشِــقٍ خــطَّ سَــطْراً في الهَــوى ومَحَــا

مِــــنْ بَــسْمَةِ الـــنَّجْمِ هَمْـــسٌ في قَــصَائِدِه

ومِــــنْ مُخَاَلَـــهِ الظَّبْـــيِ الّـــذي سَـــنَحَا

قَلْـــبٌ تَمَـــرَّسَ باللـــذّاتِ وهـــوَ فَتـــىً

كَبُـــرْعُمٍ لَمَـــسَتْهُ الـــريحُ فَانْفَتَحـــا....

مـــا لِلأَقَاحِيَّـــهِ الـــسَّمْراءِ قْـــد صَـــرَفَتْ

عَنّـــا هَوَاهَـــا أرَقُّ الحُـــسنِ مـــا سَـــمَحَا

لَـــوْ كُنْـــتِ تَـــدْرِينَ مَـــا أَلْقَـــاهُ مـــن شَـــحَفٍ

لكُنْـــتِ أرْفَـــقَ مـــن آســـى وَمْـــن صـــفَحَا

غَـــــداهَ لَوَّحْـــــتِ بالآمـــــالِ بَاسِـــــمَةً

لانَ الـــذي ثَـــارَ وانْقَـــادَ الـــذي جَمَحَـــا

مـــا هَمَّـــني ولـــسَانُ الحُـــبِّ يَهْتِـــفُ بـــي

إذا تَبـــــسَّمَ وَجـــــهُ الـــــدَّهْرِ أو كَلَمَـــــا

فـــالروضُ مَهمـــا زَهَـــتْ قَفْـــرٌ إذ حُرِمَـــت

مِـــنْ جـــانحٍ رَفَّ أو مِـــنْ صَـــادِحٍ صَـــدَحَا

جفنه علّم الغزل

جَفْنُهُ علّمَ الغزَلْ

وَمِنَ العِلْمِ ما قَتَلْ

فَحَرَقْنا نُفُوسَنَا

في جَحِيمٍ مِنَ القُبَلْ

* * *

وَنَشَدْنا، وَلَمْ نزَلْ،

حُلُمَ الحُبّ وَالشّبابْ

حلُمَ الزّهْرَ وَالنّدَى

حلُمَ اللَّهْوِ وَالشرَّاب

هَاتِهَا مِنْ يدِ الرّضَى

جُرْعَةً تبْعَثُ الجنُوْنْ

كَيفَ يَشْكُو مِنَ الظمّاَ

مَنْ لَهُ هَذِهِ العيُوْنْ

يا حَبيبي، أكلُّماَ

ضَمّنَا للْهوَى مكَانْ

أشْعَلُوا النّارَ حَوْلنَا

فَغَدَوْناَ لَها دُخَانْ

قُلْ، لَمنْ لامَ في الهوى،

هكَذا الحُسْنُ قَدْ أمَرْ

إنْ عَشِقْنا.... فعُذْرُنَا

أنّ في وَجْهِنا نَظَرْ

هند وأمها

أتَتْ هِنْدُ تَشْكُو إلى أمّهَا

فَسبْحَانَ مَنْ جَمَعَ النَّيِّرَينْ

فَقَالَتْ لَها ـ إنّ هَذا الضُّحَى

أتَاني وَقَبّلَني قبْلَتَينْ

وَفَرّ فلَمّا رَآني الدُّجَى

حبَانيَ مِنْ شَعَرِهِ خُصلَتَينْ

وَمَاَ خافَ يا أُمّي بلَ ضَمَنّي

وَأْلقَى علَى مبْسِمِي نَجْمَتَيِنْ

وَذَوّبَ مِنْ لَوْنهِ سائِلاً

وَكَحّلَني مِنْهُ في المُقْلَتَيِنْ

وَجِئْتُ إلى الرّوْضِ عندَ الصّباحِ

لأحْجُبَ نَفْسِيَ عَنْ كُلّ عَينْ

فناداني الرّوْضُ يا رَوْضَتي

وَهَمَّ لِيَفْعلَ كَالأوّلَينْ

فَخَبّأتُ وجهي، وَلِكّنهُ

إلى الصّدْرِ يا أمّي مَدّ اليَدَيْنْ

وَيا دْهشَتي حيْنَ فَتّحتُ عيَنْي

وَشاَهدَتُ في الصدّرْ رُمّانتَيَنْ

وَماَ زَالَ بي الغصُنْ حتّى انحنَى

على قدَمي ساَجِداً سَجْدتيَنْ

وَكانَ على رَأسِهِ وَرْدَتاَن

فقَدّمَ لي تيَنْكِ الوَرْدَتيَنْ

وَخِفْتُ مِنَ الغصُنْ إذْ تمَتْمَتْ

بِأُذنَي أوْرَاقه كِلمتَيَنْ

فرُحْتُ إلى البَحرِ للاْبترِادِ

فَحمَلّني، وَيْحَهُ، موْجتَيَنْ

فَمَا سِرْتُ إلاّ وَقَدْ ثَارَتَا

بِرِدْفَيّ كالبَحْرِ رَجْرَاجَتَينْ

هُوَ البَحْرُ يا أُمِّ، كَمْ مِنْ فَتىً

غَرِيقٍ وكَمْ مِنْ فَتىً بَينَ بَينْ

فَهَا أنَا أشْكُو إلَيْكِ الجَميعَ

فَبِالله يا أُمِّ ماذا تَرَينْ ؟ ....

فَقَالَتْ، وَقَدْ ضَحِكَتْ، أُمُّها

وَماسَتْ منَ العُجْبِ في بُرْدَتَينْ:

عَرَفْتُهُمُ وَاحِداً وَاحِداً

وَذُقْتُ الذي ذُقْتِهِ مَرّتَينْ ......

لو مر سيف بيننا

ما كانَ

أَحْلى

قُبُلاتِ

الهَوَى،

إنْ كُنْتَ

لا

تَذْكُرُ:

فَاسْأَلْ

فَمَكْ

تَمُرُّ بي

كَأَنَّي

لَمْ أَكُنْ:

ثَغْرَكَ

أَوْ صَدْرَكَ

أَوْ

مِعْصَمَكْ

لَوْ

مَرَّ سَيْفٌ

بَيْنَنَا،

لَمْ نكُنْ

نَعْلَمُ:

هَلْ أَجرى

دَمِي،

أوْ دَمَكْ

الهَوَى والشبَاب

أَلهَوى وَالشبَّاُب وَالأَمَلُ المنَشْودُ

توُحي، فتَبَعْثُ الشعّْرَ حيَّاً

وَالهوَى وَالشبَّابُ وَالأَمَلُ المنَشْودُ

ضاعَتْ جَميعهُا منَ يدَيَّاً

يَشرْبُ الكأَْسَ ذو الحِجى ويَبُقَِّي

لِغَدِ في قَرارَةِ الكأَْسِ شيَّاً

لَمْ يكُنْ لي غَدٌ، فأَفْرَغْتُ كأْسي

ثُمَّ حَطَّمتْهَا على شَفَتَيَّا

أيُّها الخافِقُ المُعَذَّبُ يا قَلْبي

نزَحْتَ الدُّموعَ مِنْ مُقْلَتيَّا

أَفَحَتْمٌ علَيَّ إرْسالُ دَمْعَتِي

كلُّما لاحَ بارِقٌ في مُحَيَّا

يا حَبيبي لأِجْلِ عيْنَيْكَ ما أَلْقَى

وَما أَوَّلَ الوُشاةُ علَيَّا

أَأَنا العاشِقُ الوَحيدُ لِتَلْقَى
تَبِعاتُ الهَوى علَى كَتِفَيَّا

إسْقِني مِنْ لَماكَ أَشْهى مِنَ الخَمْرِ
وَنَمْ ساعَةً علَى راحَتَيَّا

أَنا ماضٍ غَداً مَعَ الفَجْرِ، فَاسْكُبْ
نَغَماتِ الحَنَانِ في أُذُنَيَّا



عِشْ أَنْتَ

عِشْ أَنْتَ، إِني مُتُ بَعْدَكْ

وَأَطِلْ إِلى ما شِئْتَ صَدَّكْ

ما كَانَ ضَرَّكَ لو عَدلْتَ

أَما رأَتْ عَيْنَاكَ قَدَّكْ

وَجَعَلْتَ مِنْ جَفْنَيَّ مُتَّكَأً

وَمِنْ عَيْنَيَّ مَهْدَكْ

وَرَفَعْتَ بي عَرْشَ الهَوى

وَرَفَعْتَ فَوْقَ العَرْشِ بَنْدَكْ

وَأَعدْتَ لِلشُّعَراءِ سَيِّدَهُمْ....

وَلِلعُشَّاقِ عَبْدَكْ

يا مَنْ أَساءَ بِيَ الظُّنونَ،

ثَلَمْتَني وَثَلَمْت حَدَّكْ

إنْ لَمْ يكُنْ أَدَبي، فَخُلْقُكَ

كانَ أَوْلى أَنْ يَصُدَّكْ....

أَغَضاضَةً يا رَوْضُ إنْ

أَنا شاقَني، فَشَمَمْتُ وَرْدَكْ

وَمَلامَةً يا قَطْرُ إنْ

أَنَا راقني، فأَمَمْتُ وِرْدَكْ؟.....

أَنْقَى مِنَ الفَجْرِ الضَّحُوكِ

فَهَلْ أَعَرْتَ الفَجْرَ خَدَّكْ

وَأَرَقُّ مِنْ خَبْعِ النَّسيمِ

فَهَلْ خَلَعْتَ عَلَيْهِ بُرْدَكْ

وَأَلَذُّ مِنْ كَأْسِ النَّديمِ

فَهَلْ أَبَحْتَ الكَأْسَ شَهْدَكْ؟ ......

وَحَياةِ عَيْنِكَ، وَهْيَ عِنْدي

مِثْلَمَا القُرْآنُ عِنـــدَكْ

ما قَلْبُ أُمِّكَ، إنْ تُفارِقْها
وَلَمْ تَبْلُغْ أَشُدَّكْ

فَهَوَتْ علَيْكَ بِصَدْرِها
يَوْمَ الفِراقِ لِتَسْتَرِدَّكْ،

بِأَشَدَّ مِنْ خَفَقَانِ قَلْبِي
يَوْمَ قيلَ خَفَرْتَ عَهْدَكْ

****

يَا عَاقِدَ الحَاجِبَيْنِ

إنْ كُنْتَ تَقْصِدُ قَتْلي قتلتَني مَرَّتينِ
يَا عاقِدَ الحاجِبَيْنِ على الجَبِينِ اللُّجَيْنِ
ماذا يُريبُك مِنِّي وما هَمَمْتُ بِشَيْنِ
أَصُفْرَةٌ في جَبيني أَمْ رَعْشَةٌ في اليَدَينِ
تمرُّ قَفْزَ غَزَالٍ بَيْنَ الرَّصِيفِ وبَيْني
وما نَصَبْتُ شِبَاكي ولا أَذِنْتُ لِعَيْني
تَبْدُو كَأنْ لا تَرَاني وَمِلْءُ عَيْنِكَ عَيْني
وَمِثْلَ فِعلِك فِعلي وَيْلي مِنَ الأَحْمَقَيْنِ
مَوْلايَ لَمْ تُبْقِ منِّي حَيًّا سِوَى رَمَقَيْنِ
صَبَرتُ حتَّى بَرانِيَ وَجْدِي وَقَرَّبَ حَيْني
سَتَحْرِمُ الشِّعرَ منّي وَلَيْسَ هَذا بِهَيْنِ
أَخَافُ تدعُو القَوافي عليكَ في المَشْرِقَيْنِ

الصِّبَا وَالجَمَال

الـــــصِّبا والجَمـــــالُ مُلْـــــكُ يَـــــدَيْكِ

أَيُّ تـــــاجٍ أَعَـــــزُّ مِـــــنْ تاجَيْـــــكِ

نَـــــصَبَ الحُـــــسْنُ عَرْشَـــــهُ فَـــــسَأَلْنا

مَـــــنْ تَراهَـــــا لَـــــهُ فَـــــدَلَّ عَلَيْـــــكَ

فَاسْـــــكُبي رُوحَـــــكِ الحَنُـــــونَ عَلَيْـــــهِ

كانْـــــسِكابِ الـــــسَّماءِ فِي عَيْنَيْـــــكِ

كُلَّمَـــــا نـــــافَسَ الـــــصِّبا بجَمَـــــالٍ

عَبْقَـــــرِيِّ الـــــسَّنا نَمَـــــاهُ إِلَيْـــــكِ

مـــــا تَغَنَّـــــى الهَـــــزارُ إلاَّ لِيُلْقِـــــي

زَفَـــــرَاتِ الغَـــــرَامِ فِي أُذُنَيْـــــكِ

سَــــــكِرَ الـــــرَّوْضُ سَــــــكْرَةً صَــــــرَعَتْهُ

عِنْـــدَ مَجْـــرى العَـــبِيرِ مِـــنْ نَهْـــدَيْكِ

قَتَـــلَ الـــوَرْدُ نَفْـــسَهُ حَـــسَداً مِنْـــكَ

وَأَلْقَـــــــى دِمَـــــــاهُ فِي وَجْنَتَيْـــــــكِ

والفَرَاشـــــاتُ مَلَّـــــتِ الزَّهْـــــرَ لَمَّـــــا

حَـــــدَّثَتْها الأَنْـــــسَامُ عَـــــنْ شَـــــفَتَيْكِ

رَفَعُـــــوا مِنْـــــكِ لِلْجَمـــــالِ إِلَهـــــاً

وَانْحَنَـــــوْا سُـــــجَّداً عَلَـــــى قَـــــدَمَيْكِ

نديمي ((قصيدة مجهولة))

أتركتَ بعدك نشوةً للرَّاحِ

يا ذاهباً بشاشة الأَفْرَاحِ

وَمُهَلهلَ الطَّرفِ الحِسَانِ كأَنَّها

مَرَّتْ بلا إِثْمٍ علَى الأَقْدَاحِ

شغَفُ الرَّبِيْعُ بِهاَ فَرَاحَ يزِفُّهاَ

لبِنَاَتِهِ مِنْ نَرْجِسٍ وَأَقَاحِ

فَبَدَت المبَاسِمُ بَسْمَةَ في ثَغْرِهِ

مُهْرت بِأَكْرَمِ دَمْعَةٍ وَجِرَاحِ

إنَّي سكَبْتُ بِهَا البيَانَ على الطَّلا

في عزْلَتِي وَجَعَلتُهَا مِصبْاحِي

هيَ نَجْمَةُ السَّارِي إِذَا عَبَسَ الدُّجَى

في وَجْهِهِ وَمَنَارَةَ المِلاَحِ

مصادر ومراجع الكتاب

- شعر الأخطل الصغير - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٩٤.
- ديوان الهوى والشباب - الأخطل الصغير - دار المعارف - القاهرة ١٩٥٣.
- أعلام الشعر العربي - أديب مروة - دار الكتب العلمية - بيروت .
- الأخطل الصغير - نسيب النمر - منشورات سمر - بيروت.
- الأخطل الصغير - مفيد قميحة - دار الآفاق - بيروت ١٩٨٢.
- الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش - الدكتور ميشال خليل جحا - دار العودة - بيروت ١٩٩٤.
- مجلة الآداب - العدد السادس - حزيران (يونيو) ١٩٦١.

الفهرس

